COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
THE CITY OF NEW YORK
GENERAL
LIBRARY

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

78-962400

كتاب القصة

منشورات مجلة الطليعة الأدبية

امجد توفيق

لطفية الدليمي

منشورات مجلة الطليعة الادبية

- ١ -

كتاب القصة

رئيس التحرير

أمجد توفيق

سكرتير التحرير

ياسين طه حافظ

PJ
7677
.K54

المقـــدمة

PL 480 ٦٧٨٢٨ ٢٧١١٦

منذ ان صدر العدد الاول من مجلة الطليعة الادبية ، كانعكاس لعلاقات تاريخية جديدة يعيشها قطرنا ، وتشع من خلاله لتمتد الى كل الجذور الحية في الوطن العربي ، كانت مهمة ـ مجلة الطليعة ـ السعي الدؤوب والمثابر الى بلورة الحركة الادبية الشابة وتأهيلها للاسهام في تحقيق واقع ثقافي خصب خلاق ، يعزز العلاقات الديمقراطية ، ويرسخ جذور أدب قومي نضالي يهتدي بالفكر العربي الاشتراكي وبالثورة العربية المعاصرة ..

ومن وعي خطورة هذا الدور ، وهذه المسؤولية ، عملت المجلة ، واسترشدت باراء العديد من الادباء والمفكرين للوصول الى أفضل السبل لتطوير عمل المجلة وعلاقتها مع الاديب الشاب

العربي ، وفي هذا المجال شهدت أغلب اعداد المجلة ، مبادرات كان الهدف منها ترسيخ وحدة الثقافة العربية ، ودفع حركة الادباء الشباب الى أمام واغناءها بالمناقشات الجادة ، ان استعراضا سريعا للكثير من القصص والقصائد والاعمال الادبية الاخرى المنشورة في المجلة ، يوقفنا امام ظواهر ايجابية ، من الضروري تناولها بالنقد والتحليل ، وتقويم تجربتها ، ومن ثم تعزيز هذه النماذج وحفر اتجاهها أعمق فأعمق ..

ان التعبير عن الواقع ، عن هذه الارض ، عن الاشياء باسمائها الحقيقية ، عن الانسان العربي في شتى حالاته والانشداد الى المستقبل ، ظواهر ايجابية ولدت مع ولادة هذا الانسان ، ونمت وترعرعت في ظل شجرة الثورة .. ان قاموسا جديدا يفرض ابجديته الان ، . وان لغة جديدة شابة تتفتح في نتاجات الشباب .. في نتاج طبيعي ينتسب الى هذه الارض كما تنتسب النخلة ، وعلى الجانب الاخر من الصورة نرى لغة قديمة تختفي واتجاهات تذوي . . وهذه الظاهرة جعلت غير الممارسين يخجلون من قصائد الشباب وقصصهم .. هؤلاء الذين يمسكون بالصخر والتراب دون قفازات .. ولا يستعيرون معطفا من آخر .. ولا يستدينون صورا وجملا ووجها واساليب من السوق القديمة .. وهؤلاء تفخر بهم ـ الطليعة الادبية ـ لانهم حملوها وحملتهم وفخروا بها وفخرت بهم .. وهي تتواصل معهم في هذه المجموعة المختارة من القصص ، . التي تأتي استكمالا لدورها .. تضم هذه المجموعة

خمس عشرة قصة من عشرة اقطار عربية .. وهذه القصص نشرت في المجلة باوقات مختلفة ..

وفي هذا المجال لا ننكر باننا واجهنا صعوبة في محاولة الاختيار لكن ما ساعدنا حقا هي معرفتنا بهؤلاء الشباب وتتبعنا لنتاجاتهم..

فهناك المئات من القصص المنشورة في المجلة .. وقد فرزت هذه القصص ، حسب أقطار كتابها أولا ثم على اساس تجربة الكاتب ثانيا ..

المجلة نشرت قصصا لاسماء معروفة جدا في الوسط الثقافي العربي ، وعند الاختيار استثنيت هذه الاسماء ، لاننا نعتقد بان تجربة هؤلاء لا تقع ضمن خصوصية توجه المجلة ، خصوصية توجيه التجربة واحتضانها .. وكنا في محاولة الاختيار متحيزين تماما للقصاصين الذين نشأوا مع نشأة المجلة ، وتبلورت اداتهم من خلالها ، هؤلاء هم جيل الطليعة الادبية وهم من تحمل هذه المجموعة المشتركة قصصهم ..

اننا نزعم أن لقصصهم جدة في الطرح ، وهموما طرية ، وانفعالات صادقة ، يؤرقها الطموح للمستقبل السعيد والآمال الكبيرة .. وهي تمتلك وعيا قوميا اضافة الى ذلك ترتبط بما هو أصيل في التراث .. كل ذلك حسب تجربة القصة كما هو واضح .

ففي قصة الحصان لنجمان ياسين نلحظ رحلة مع لوحة لفنان معروف ، حاول نجمان ان يعطيها مدى واسعا ، ويكشف عن

بعدها الانساني الكبير ، وهو في هذا لجأ الى وسيلة لم تكن مكتملة، فشخصية المرأة غير مقنعة وهامشية وسط لوعة وعذاب الرجل وصورة هذا العذاب المتجلية في الحصان والحوذي ، . حاول القاص ان يلهب هذا العذاب بفعل خارج شروطه ، فالحصان المسكين غير قادر على ركض جنوني كانفعالات الرجل ، ونجمان يدرك هذا لذا جعله يفكر بصورة أخرى ، صورة جميلة للحصان تحت المطر .

واذا كان نجمان يحمل نبل الكلمة المنتزعة من القلب فان فارس انور يحمل تأملاته وهمه الجمالي الذي يبرز واضحا في قصته ـ الاشجار ـ حيث الاستفادة من اللون والتشكيلات الفنية المقصودة والمعبرة في آن معا .. أن فارس يحس بالاشياء احساسا غير عادي ، فالاشجار كائنات حية وكذا الريح والغبار والالوان ..

ان قراءة سريعة لقصة الاشجار قد تخلف شعورا بشكليتها لكن الشكل يصبح هو المضمون .

وبعيدا عن محاولة خلق توازن بين الشكل والمضمون تأتي قصة عدنان منشد ـ ولسفينة نوح نزهة جديدة ـ أنها محاولة للاقتراب من عالم ـ حسين الناهي ـ المتعلق بالهور وبسفينته رغم قدمها ورغم شيخوخته .. ان العجوز مؤمن بامكانيته حتى وان انكرها أبناؤه . والقاص يتعامل معه بود كبير في محاولة لاستخلاص قيمة انسانية بطولية أبعد حتى من شروطها .. الا انه يعاني من نواقص تكمن في اسلوبه السردي وبناء جملته بينما تشرق لغة فيصل عبدالحسن حاجم في قصته ـ الاميرة ـ وتتداخل الاصوات لتقدم لنا قصة محبوكة بمهارة وفنية ، فيها

استفادة من التراث الشعبي ومن المونتاج السينمائي . وفيصل يعزز ايمان أبطاله ، ويمدهم بوسائل تعزز اصرارهم .

اما محمد عطاالله فانه قاص نادر ، جملته ساخرة ، عذبة ، متدفقة ، تنبض بألم أنساني حقيقي وهو قادر على استلهام التاريخ استلهام الخلية الحية فيه ليمنح قصته بعدا آخر ..

في قصته ـ قطة وثلاثة بيوت ـ يحاول محمد ان يعري حيوات انسانية بأسلوب ذكي وساخر من خلال قطط سود صغيرة .

ضمن هذه المختارات قصة ـ القبيح والوردة ـ لجارالنبي الحلو . ونذكر هنا بأمانة ، كم كانت فرحتنا كبيرة ـ نحن هيئة التحرير ـ بهذه القصة ، قرأناها جميعا ، وتحدثنا عنها طويلا ، عن الجمال الذي يسكنها وعن سحر الاسلوب .. ان جارالنبي الحلو استطاع بقصته هذه ان يحيط عالم الاطفال برقته وعنفه وجماله . انه تحدث عن الاطفال ، وتمكن بكثير من الدقة والشاعرية ان يتغلغل بينهم وان يتلبسوه دون ان يفقد قدرته على التفكير وعلى الاحساس بالتجربة ثم التعبير عنها بفن أصيل ..

لا نستطيع ان ننسى يحيى والنهر ويوسف والوردة لان جارالنبي تكلم عنهم باقناع فني عال ..

ويحاول احمد صبري ابو الفتوح في قصته ـ عنبر الاموات ان يرسم صورة سوداء لحياة عمال التراحيل ، وينتزع منا صرخة غضب للبؤس الذي يحيونه ، رجال شاحبو الوجوه ، ونساء سكن المرض صدورهن ، يعيشون في عنبر يشبه القبور . . غريب

الدياسطي واحد منهم .. وفي يوم عندما تكل يداه اثر عمله المتعب يجر نفسه مساء الى العنبر ، ليلقي بنفسه الى جوار امرأة تدعى زهرة ويظنها زوجته ، وفي الصباح يرى الجميع سيقان زهرة ، ويصرخ ريس الانفار بهم ، ولكن من اين لهم ان يعرفوا ان غريبا عاجز ، عاجز تمامـا ..

ان أحمد صبري أبو الفتوح فنان أستطاع ان يصور بدقـة حياة عمال التراحيل وألمهم رغم ان قصته بدت تقريرية في بدايتها ومملة أيضـا ..

أما أحمد بوزفور فقد قدم لنـا قصة ـ الاعرج يتزوج ـ أعتمدت على التقطيع لاختزال زمن شاسع تحدثت عنه القصة ، ومن خلال هذا التاريخ يحاول القاص ان يلم خيوط قصته ويمركزها بقتل عروس عبدالسلام من قبل ام الاعرج بعد ان مات .. صحيح ان الحدث يبدو فنطازيا وغير منسجم مع بناء القصة ، لكن فضله هو كشفه لحالة اجتماعية وأنسانية قائمة .

وفي قصة ـ ورقة من زمن التشنج ـ لبلعيد ادريس نتعرف الى قاص يدرك غايته ويحاول الوصول اليها بخطى ثابتة ، وهـو يفهم دوره ومهمته وكيف تتحول القصة الى منشور يفضح اعداء الشعب ويكشف الاعيبهم .. لقد استطاع بلعيد ادريس ببناء سهل ودون تكلف ان يقدم قصة مقنعة ترفض تشنجات الشكل وتحمل مضمونها بوضوح وثقة ..

ومن البحرين اخترنا قصة ـ حين يكون الجنون . يكون الدم ـ لعبدالقادر عقيل .. وهذه القصة تشكو من نواقص كثيرة لعل ابرزها هي عدم القدرة على منح الرمز قيمة حقيقية ، لذا فقد اصبح الهتاف في نهاية القصة امرا غير مقنع ، رغم ذلك نقول بانها نموذج لما كتبه شاب من البحرين نأمل ان تتعمق تجربته . ونشعر بان هذه هي مهمة ـ الطليعة الادبية ـ

وفي قصة ـ مصرع مواطن يدعى صابر مفتاح ـ لمحمد المسلاتي ادانة للاجهزة البيروقراطية التي لا تفهم هموم عامل دراجات ، ولا قيمة ان يهدم دكانه لينتظر شهورا عديدة للحصول على دكان آخر ، وهو لا يحصل عليه في النهاية لان اوراقه غير كاملة . .الخ. ان القاص يحاول ان يبين بان أي تغيير جديد يجب ان لا يكون على حساب المواطن البسيط على حساب ألمه وجوع أطفاله وقد استطاع ان يصل الى غايته باسلوب بسيط ومتمكن مستفيدا من التناقضات الخارجية للوصول الى استخلاص لقيمة مهمة هي الانسجام بين التغيير وطريقة الفعل المغير ..

أن اول ما يخطر للذهن عند قراءة قصة ـ التصاعدية ـ لنصر محمد راغب هو محاولة الربط بين العنوان وتركيب القصة التنازلي ، فالقاص عبر رمز المصعد والطائرة وحكاية السفر ، يقودنا الى صور وعلاقات متعددة ذات جوهر واحد وتركيب متناقض ، معتمدا في ذلك على لعبة التضاد بين الداخل والخارج .. شكل القصة ذكي وينطوي على لعبة جميلة وسوء قصد من

القاص فرغم اعتيادية المضمون وتكراره في اكثر من عمل فني نرى بان نصر محمد راغب منح هذا المضمون روحا جديدا وشكلا طريفا ..

وفي قصة ـ المطر ـ لعدنان علي خالد ـ محاولة لاضاءة نماذج اجتماعية تعاني استلابات متنوعة رغم ان القاص افتقد التركيز لانه استخدم مشاهد وشخصيات شتتت القصة ، ولم يستطع في النهاية ان يضمها او ان يجعلها تنتظم وتكشف من خلال رمز محكم ، الا انه تمكن ان يحدد بعض الملامح الاساسية لنماذجه وعذاباتها ..

ومن اليمن الديمقراطية اخترنا قصة ـ القضية رقم ١٠٩ جنايات ـ لاحمد محفوظ عمر ، وهذه القصة تتوفر على بناء محكم وقدرة على التوصيل ، فهي تروي على ألسنة اربعة شخوص لتؤشر في النهاية حالة الرعب التي تحياها السلطة وحالة الاستلاب التي يتعرض لها المواطن .. ان احمد محفوظ عمر قاص له أدواته ونسيجه وموهبته ..

في قصة ـ الجندي العائد في ليلة اعصار ـ ليوسف خياط، تداخل في الزمان والمكان والحالة الشعورية ، انها قصة عن جنديين عادا من الجبهة لفترة محدودة ، ويوسف خياط يصور لنا بتلقائية مشاعر الجندي الكهل وتفكيره بزوجته واطفاله وحرصه على الجنود الشبان ثم الظروف الصعبة التي يتعرض لها للوصول الى بيت وسط عالم لا يؤمن باهمية دوره ..

اما الجندي الشاب فهو جياش العاطفة شجاع في سلوكه وتفكيره أنه يفكر في النساء ويتعطش لهن ، يحلم بفتاة طيبة ، ويقاتل

يضا بأيمان ضد موجات الرصاص التي تتجه نحوهم ..

ان يوسف خياط قدم لنا مادة غنية ، يعوزها التقديم الجيد والصبر ..

ومن الممكن سحب النقطة الاخيرة على قصة ـ كيف حال الدنيا ـ لعبدوس عبدالحميد من الجزائر .. فقصته تدور حول احد الثوار الجزائريين ، يكلف بمهمة فيلتقي مع جندي من الاعداء مصاب يدور بينهما حديث مشحون ، فالثائر يتذكر امه التي قتلت والجندي يتذكر أهله ايضا ويتذكر كيف اجبر على دخول البلاد للقتال .. يترك الثائر الجندي على حاله ويتقدم ليموه على طائرة العدو فيقترب من ثكنة فرنسية يطلق أحد افرادها النار على مصدر الصوت فيصاب الثائر بها ، فيرتفع صوت المونولوج لديه ثم يقرر اخيرا ضرب افراد الثكنة بالرصاص ، وينفذ قراره ..

ان عبدوس عبدالحميد نجح في التقاط نموذج لثائر عربي من الجزائر وقدم هذا النموذج بصدق كبير وصور مشاعره بامانة مقنعة ، رغم الملاحظة التي ثبتناها في البداية حول بناء قصته ..

اخيرا يهمنا جدا ان نثبت بأن ماكتب عن هذه القصص ليس كافيا ولا نعتقد بأنه اعطى حقها في دراسة نقدية مستفيضة والدعوة موجهة للنقاد لتحليل النماذج المنشورة واستخلاص قيمتها الحقيقية .. وبذلك تغتني هذه الاشارات التي كتبت حول القصص المنشورة .

أمجد توفيق **لطفية الدليمي**

الاشـــجار

فارس انـور

العراق

الماء في النهر له لون الطين ، وسطحه المتموج معفور باشعة صباحية ، تداخلت مع تقلبات الموج ، مما ادى الى انعكاسات صغيرة تشكل مستقيمات مائلة ، عيناه جامدتان فوق ماء النهر ، وماء النهر ينساب يسارا ، ويختفي في ذلك المنحنى ، الذي يؤشر بشعلة لا تنطفىء . حرك قدميه ، في الشارع صاعدا ، حيث تمتد ارض خضراء ، واشجار . سقطت السيجارة من فمه ، الان لم ينتبه للسيجارة ، اذ انه يمضي بخطوات منتظمة ، والاشجار الصغيرة تتوزع في عينيه . هنا شجرة برتقال مغمورة بالقداح ، هنا شجرة رمان ، . . لا زيتون . السماء الزرقاء تختطف اللون الاخضر وتبلعه ، وتظهر قطعة غيم تشبه القطن . وعلى الارض ، تحت اقدامه تشوه الاسفلت ،

وتبعثرت نتوءات الحصى البارزة ، فوق وجهة الاسود ، وهو يحرك قدمه . يضغط بقوة فوق الحصى ، السيارات في الشارع تعبر بصمت ، صوت العصافير يطغي ، فوق شجرة السدر ، المستوطنة في زاوية عينية ، يصعد اليها حتى آخر غصن ، يغيب في ورم الاوراق الخضر ، يهزها . . تصمت العصافير ، لكن العصافير لا تصمت غالبا .

يستدير ، يحلق فوق الرصيف ، وينثر ريشه فوق سياج المستشفى ، ابيض ناصعا ثم يلتحق بالعصافير البيضاء التي تمسك بجناحه . يقترب من الضوء الدافىء ، وينزلق في اناء من ضوء . يحرقه الضوء ، يختفي تحت الماء حيث تخسر الاشكال صورتها الحقيقية ، ويراها خلال طبقة سميكة من الماء ، حيوات متحركة ، في ظلمة جزئية ، تقترب منه ، متفجرة ضوءا ، وفي لحظة اصطدامها به تتوالد في مخيلته ، صورا متعددة لطفل صغير ، يقترب من جدار مدرسة قديمة ، او يمضي بعيدا صوب ساحة ترابية معبأة بالغبار والفراغ ، أو يجلس بجانب والدته ، التي تحكي بشلال من الكلمات حكايات لا تعني شيئا ، او طفلا يمسك الحروف الرصاصية ، في مطبعة تنهض في زقاق ضيق .

بعد اصطدام هذه الاجسام به ، وبعد هبوطه في القاع ، يغلفه نزيف من الضوء الملون . يكسر الظلمة . يحاول ان يتبين مصدره ، اشعة فوسفاتية ، اضوية نيون ، شمس ، وجه رائع . حصى ملون ، ولكنه يفشل في معرفة المصدر ... وتختفي الحيوات بعد ان تمر

في حالة سكون ، خيل اليه انها طويلة جدا .

وفجأة يرى نفسه ، ينزل الى القاع ، تمر امام عينيه ، نباتات الماء الخضر ، والصفر ، ثم طبقة من الاسماك ، مختلفة الاشكال ، ثم طبقة من جنيات النهر ، ذوات الوجوه الوردية التي تنضح حبا ، نزوله يزداد تعجيلا ، ولكن لايبدو هناك اي قا ع، مجرد قطعة ظلام محشوة في داخل النهر ، ومتناقضة مع جبال الحصى المتوزع ، وذلك الضوء الباهر الذي يغلف الطبقات العليا .

فتح عينيه ، اصطدم بهما وجه صغير مدور .

ـ عمي ، لا تبق واقفا في الشارع .

احس بثقل والم في صدره ، فتح فمه بابتسامة ، خفيفة ، واطبقه لم يجب . وظل ساكنا .

ـ عمي ، مابك .. أيؤلمك شيء .

وضع يده اليمنى فوق صدره ، وضع حبة صغيرة تحت لسانه، بينما كان الطفل يتجه صوب الحديقة المطلة على النهر .

اصبح المنظر واضحا تماما في عينيه ، رغم كثافة الاحساس الغامض في اعماقه . الاشجار ، نصفها الأيسر مضاء ، والظل محفور فوق زهور صفراء ، يراها تشبه نجوما في سماء صيفية ، كفه انزلق بجانبه ، واحس انه يستطيع ان يواصل سيره صوب الحديقة . لم يبق عليه الا ان يصعد الشارع ثم يعبره فيصبح محاطا بعالم النباتات الرائعة التي سوف يشمها ، يلامس بطرف اصبعه ، ويجلس بجانب النهر ، حيث النوارس تحلق دون ان تنقض ، وربما فعلت ذلك لكنها غالبا ما تخرج خالية الوفاض ، لكن ذلك لا ينقصها روعة بلونها

الابيض الذي يرسم دوائر صغيرة في سماء صافية ثم يمد نظره نحو البيوت ، المقامة في الضفة الاخرى ، بيوت قديمة ، صفراء ، داكنة ، بطابوق تاريخي ، واشكال عباسية او بشناشيل حديدية صدأت وبمداخن غريبة الشكل فوق السطوح بحبال عليها ملابس ملونة ، ونساء يتطلعن ولا يفعلن غير ذلك وربما برسوم فوق الجدران لا يتبينها لكنه يستطيع ان يتصورها معلومات قديمة عن الهواء وبصمات الاصابع . عن التراب الذي خلفته فوق حيطانها ثم ينظر الى تلك الاشكال المنعكسة ، في داخل النهر ، المتماوجة ، دوما ... نخيل باسق ، وعمارات جديدة ، تغزو مخيلته ، كأمرأة قديمة ، بروائح نفاذة .. كأنه غاطس في حوض سمك .

ينظر الى الجسر ، الممتد يسارا ، حيث يقتطع السماء الى نصفين ، وذلك النزيف من السيارات .. لا ينقطع ، .. ثم يحدق في السماء ، حيث يمضي بعيدا ، لا شيء يمسكه ، يضع العالم في زاوية عينيه ، والفراغ المجهول في رأسه ، ويدور حول نفسه مرارا ، ثم يخرج قلبه ، الذي لا يشبه قلبا عاديا ويرميه في اللانهاية .

لم لايحق الان الى داخله ، وهو يمزج الالوان المختلفة ، في بوتقة واحدة ، ويخرج لونا واحدا يشبه الحب والموت .

فتح عينيه على نفس الوجه المدور الصغير .

ـ عمي اتريد ان تذهب الى الحديقة .

ـ نعم .

ـ دعني ، آخذك اليها .

لا يدري لماذا حدق في زاوية عين الصبي ، حيث المرايا ،

والانهار والسماوات ، متجمعة في نقطة صغيرة .

ود ان يقول له :

ـ ان في عينيك عالما واسعا .

او .

ـ ليتني استطيع الابحار في عينيك

قال للطفل :

ـ ساذهب وحدي .

ـ انت مريض ..

ـ انا ...

ـ خير لك ان تذهب الى البيت .. اين بيتك .

ـاذهب والعب ، .. لا تشغل بالك بي .

مضى الطفل بخطوات سريعة .

حرك قدميه بمحاذاة حائط المستشفى الابيض ، وعبر الشارع الاسفلتي الى الجهة الثانية حيث تمتد ارض ترابية . الان ، كان التراب يتطاير باستمرار مشكلا جوا خانقا ، احس بان الاشجار التي في عينيه تختنق ، الارض التي تمتد فيه بحاجة الى الماء لغسل التراب ثم الاستلقاء تحت اشعة الشمس ، فيصبح الشجر طليقا ، والجسم نقيا ، لا يحتاج الى حبوب او عقاقير . تأتي الاشعة بضخامتها ، تخترق الجسم ، بعد ان تشعل الجلد يتولد ضوء هادىء يشبه سماء صيفية ، زرقاء ، اصيلة فتترتب الاضلاع واللحوم والشحوم بشكل جديد ، بحيث يستطيع قطع المسافة الى الشجر والشمس ، ثم يستلقي ويراقب الطيور ، ويحدث الطفل الصغير عن

طفل آخر ذي ملامح هلامية تشبه موجة او غيمة .

وجد نفسه مرة اخرى واقفا صوب الحائط . لم تتحرك قدماه، ولم تتجاوز الشارع الاسفلتي .

اختفى الاطفال عند نهاية الحديقة ، وتركوا ضحكة صغيرة ، تتكيء على سلم نصف دائري . النوارس ، اصبحت نقاطا صغيرة في عمق السماء .

النهر ، يتململ بهدوء فيمد بساطا من الماء على الرمل ، ويتجه يسارا ، ثم ينحني ويلم باصابعه النخل والبيوت .

ولانه لم يتعود وضع السكون، نظر نحو ظل الاشجار، المتقلص، حرك عينيه يمينا ويسارا ، قالبا وضع السماء والارض ، الاسماك والطيور ، النهر والريح .

لم يحدث شيء كأنه قد رمى بعقب سيجارته على الرصيف ، وظل المشهد صامتا . وحينما اصبح الظل صفرا ، عاد النهر الى صخبه ، فغمره حتى قمة رأسه واعاد اليه الاسماك العجيبة التي لامسته بحراشفها وزعانفها ، وأسرت اليه بسر النهر ، سر الحصى والنباتات المائية والطحلب .

وانخفض شعاع الشمس ليرفعه فيجففه ، ويرحل به ، على اجنحة طيور ، مختلفة الاشكال والاحجام فوق جبال ووديان وسهول ثم يعود ... عبر الشارع اخيرا اصبحت خطواته طبيعية . عادت الاشجار الى عينيه . بينما كان الاطفال يلعبون ويرمون الحصى الى النهر .

الاميرة

فيصل عبدالحسن حاچم

العراق

علا صوت الرجل الواقف في الفسحة الترابية كان يغني بصوت حزين ، اسفل النخلة الجرداء ، نظراته تتجه صوب البيت ، يشعر بالبرد يمر من بين اصابعه كدبيب النمل ، احس انه قد فقد انفه واذنيه ، واطراف اصابعه في مثل برودة الجليد ومن حوله كانت الاشياء ترتجف . يحصي النخيلات المتناثرة وسط الظلام والضباب وصوته يعلو فوق الضباب الذي يتسرب من داخل المسافات الجرداء، ثمة نار بعيدة ، ودخان يسبح فوق الضباب . وكرة ثانية ينظر صوب البيت بأتجاه النوافذ المضاءة بأرتعاشات ضوء الفانوس ، يتخيل انه يلتصق بهذه النخلة الشاهقة ، ينمو حينما تنمو ، ليطالع ذلك الوجه البعيد المزدان بزهور برية فاقعة . يجلس فو ق صخرة تحت النخلة ،

يخرج نايه القصبي ، وتحمل نسمات الليل الصفير المذبوح لتسمعه عشرات الحيوات النائمة بين الاسقف والجدران .

ضوء الفانوس يرتعش . قالت الصبية وهي تضع يديها بالقرب من النار المتأججة في « المنقلة » :ـ

ـ انه يغني من جديد .

سعل الاب ، وتجاهل ما قالته الصبية ، لكن الام قالت :ـ

ـ أش .

مدد الاب قدميه بصعوبة ونظر صوب ابنته الكبيرة الواجمة وسعل من جديد ، عبرت ذاكرته صور عديدة :

« الفرس البيضاء تحمحم ، وتلهث ، يضربها بيده على عجيزتها ، تطير به بين بيوت الفلاحين المتداعية ، كان شابا والارض تهتز تحت وقع حوافر الفرس . يضحك بأستمرار ، وحينما يغمض عينيه يشعر ان فرسه تطير فوق الناس الذين غمرهم العرق وأصبحوا كملح الارض . تدوسهم فرسه البيضاء . وتغرق حوافرها في البطون المبقورة لتمزق الامعاء وتهرس الصدور الضامرة . »

رفع الرجل العجوز رأسه كأنما وخز بأبرة ، وقال في نفسه :ـ اصبحت عجوزا ، وخنجري صدىء متاكل ، ولا استطيع ان اواجه هذا الشاب . »

تنحنحت الام ، ـ ثم قالت :ـ

ـ كلما اسمع غناءه اتذكر شيئا قديما .

قال للام وهو يرقب ارتعاشة النار الخارجة من بين الجمرات :ـ

ـ لن يتركنا هذا الوغد ، لو كنت استطيع الوقوف لقتلته ، ولكن لعنة الله على الزمـــان .

علا صوت الشاب في غناء مؤثر ، قالت الام كأنما تريد ان تهدىء ثائرة الاب :ـ

ـ أنها أرض الله الواسعة ، ولا يمكننا منعه من الغناء فوقها .

صمت الاب كأنما يفكر بأمر ما ، بينما كانت الفتاة الكبيرة تحدج أمها بحنق ، ثم كأنها خافت ان يلاحظها ابوها ، اطرقت واخذت تحدث الصبية ، ولكن احلامها كانت ترقص فوق عالم الناي الســـحري وتنساب فوق الضباب الذي يغزو الفسح الكائنة بين اشجار النخيل. ارث الاب سجارته اللف وتنهد ، قالت الام :ـ

ـ انها اغنية حزينة ، وتذكرني بقصة قديمة .

لم يقل الاب شيئا كانما كان يشجعها على الحديث قالت الام وهي تضع مزيدا من الوقود في « المنقلة » :ـ

ـ منذ زمن طويل في احدى الممالك قال العراف للملـك : ان ابنته ستكون من نصيب أحد ابناء الفقراء ، وهذا الفقير سوف ينتصر على وريث العرش ، ويصبح له السلطان .

صمتت الصبية ، وأرهفت الفتاة الكبيرة اذنيها لتسمع الاغنية المؤثرة التي كانت تملأ الفـراغ .

ـ قال الملك للعراف ، وما العمل ؟ ..

اجابه : أنه شيء محتم ، ولكن الخصم العاجز خير من الخصم القوي .

كانت النافذة مضاءة والفتاة الكبيرة تنتظر وجها يطل من وراء الزجاج ، قال الاب بثورة :ـ

ـ الا يتركنـا هذا الوغد ؟

استرسلت الام :ـ

ـ وفي يوم بارد تجرأ صانع سيوف فقير وطلب يد الاميرة .

صمتت الام كأنما الاشياء التي قالتها رهيبة وشمل الصمت الغرفة ، وقالت الصبية ببراءة :ـ

ـ سوف يقتله الملك بكل تأكيد .

التفتت الام الى الصبية :ـ

ـ لقد قال له العراف : الخصم العاجز خير من الخصم القوي .

سعل الاب ، ثم اطفأ سجارته في رماد « المنقلة » ، ومن الخارج اتى صوت الشاب مذبوحا حتى ان الاب استطاع ان يلاحظ هـذا التغير فقد قـال :ـ

ـ لقد اصبح صوته مشوها .

قالت الصبية بعفوية :ـ

ـ انـه البـرد ...

فنظر اليها الاب بوحشية فأختفت الكلمات داخل صدرها . اطرقت الفتاة الكبيرة كأنما كانت تخاطب الجمرات الملتهبة ، أكملت الام ، بينما كان صوت الشاب يستعيد رونقة :ـ

ـ اشترط الملك على صانع السيوف شروطا عديدة ، منها ، ان يقتلع عينيه ، تصورا يقلع عينيه ويقطع قدميه ويديه ولسانه .

تخيلت الفتاة الكبيرة لسان صانع السيوف المقطوع يطل من بين الجمرات الحمر ، وأحس الاب بان لسانه قد قطع وان نزيف الدم لن يتوقف

– ووافق صانع السيوف .

علقت الصبية :ـ

ـ ياله من شـجاع .

قال الاب :ـ

ـ اصمتي .

استرسلت الام :ـ

– وخرج منادي الملك في القرى يعلن الاتفاق واصبح اسم صانع السيوف نكتة في الافواه ، ولم يصدقوا المسالة ، وظنوا انها مجرد دعابة اراد بها الملك اضحاك رعيته ، الذين ابتلوا بالقحط، في تلك السـنة .

قطرات الندى ترطب جدار الطوب ، ويخفت ضوء الفانوس تدريجيا ، قال الاب للفتاة الكبيرة :ـ

– لقد فرغ خزان الفانوس من النفط .

وقفت الفتاة الكبيرة ، كانت تشعر باندلاع نار رهيبة بين نهديها، توجهت صوب خزان النفط كان صوت « خضاضة النفط » يتوافق مع الانغـام التي يبعثها الناي الشجي ، شعرت ان اللحن الحزين ينمو مع كل حركة تقوم بها . ويندس بين غابة شعرها الكثيفة ثم يتسلل فوق جلدها الناعم . شعرت بالخجل يغزوها ، وبالعري التـام ،

فانتابتها قشعريرة باردة .

اكملت الام :ـ

وقطع الجلاد قدم صانع السيوف اليسرى .وتحول ضحك الناس الى صمت مخيف ، وبعد ثلاثة شهور ، جاء المنادي مثل المرة السابقة ، وتجمع الخلق من كل الاقاليم ، ورأوا جلاد الملك يقطع قدم صانع السيوف اليمنى . فصرخت امرأة شابة ياللمسكين . وانتهى ذلك الاحتفال الرهيب على امل العودة بعد ثلاثة شهور ليرى الناس قطع يدي صانع السيوف .

غابة الوجوم تخيم فوق الغرفة ، بينما كان ضوء الفانوس يسترد القه السابق . قالت الفتاة الكبيرة ، ونظرة مضطرمة تشع في عينيها :ـ

ـ ياله من ملك بشع

قال الا ب:ـ

ـ اصمتي ، يا خائبة .

نظرت الفتاة الكبيرة الى النار بخجل ، وقالت الام مؤنبة :ـ

ـ لم تقل شيئا سيئا .

قال الاب وهو يغمض عينيه :ـ

ـ اكملي القصة .

السقف البعيد يتهاوى فوقه وهو وحيد ليهرسه . والفانوس الرهيب يغضب فجأة ويهتز كأنما هو يرفض مقولة الحكيم . ويسقط ويندلق النفط فوق الارض لتلتهم النار كل الاشياء الجافة والقديمة،

لكنه يكبت غضبه ليسمع الحان الناي المتوترة .

ـ وبعد ثلاثة شهور جيء بصانع السيوف وقلعت عينه اليسرى ، وقطعت يداه . وغضب الناس ، قالوا انها مناظر بشعة ، وأن ابنة الملك انسانة وليست جنية ، واخذ الناس يرددون قصائد كتبها بعض الشعراء عن بطولة صانع السيوف الذي يتألم ولا يصرخ .

مسحت الفتاة الكبيرة دموعها واخذت تعبث بالرماد .

لا شيء في الخارج سوى الحيوانات السائبة ، ومن بعيد صوت حصان يحمحم ، ونباح كلب بعيد ، يختلط الصوت الحزين بالانغام الشجية ، كان جالسا فوق الصخرة ، كأنما جلاد الملك يقترب منه ويقرب منه القضبان الحديدية المحماة الى حد الاحمرار ، وبوحشية يقتلع العين اليسرى فتملأ الارض والسماء صرخة مذبوحة يحولها الناي الى اغنية حزينة ، وفي رأسه كانت تعبر خواطر عن النهر حينما كانا صبيين ، الماء يغمر جسديهما قرب جرف النهر ، يغمض عينيه ، وينساب اللحن بطيئا ، لم يعد يحس بقدميه كانما قد قطعهما الجلاد قبل ثلاثة شهور ، أنفه وأذنيه ، اعضاؤه ليست في امكنتها ، كأنما كان يسمع تكملة القصة : قالت الام :ـ

ـ اصبح صانع السيوف هو الملك الحقيقي في نفوس الناس ، وتساءل الناس : هل الاميرة هي غايته وهو يعرف ان زواجه منها محال ؟ وقال شيوخ القرى الطاعنين بالسن ، انهم سمعوا

من ابائهم نبؤة تقول : ان للفقراء يوما ، وقد يكون صانع السيوف هو شارة البدء .

بيت الطوب الصغير المحاط باشجار النخيل كان صامتا ، ولكن الضوء الشجي كان يتراقص من خلال النافذة ، توقف الشاب عن العزف ، تذكر اشياء عديدة :ـ

« قال لابيها : جئت اخطب ابنتك .

توترت عضلات وجه الاب : الديك الشجاعة الكافية لتطلب الزواج من ابنتي ؟

بدت النخلة المطلة عليهما حزينة .

ـ كلنا ابناء ادم وحواء .

ابتسم الا ب ابتسامة صفراء :ـ ابوك كان فلاحا عند ابي .

قال الفلاح :ـ انتهى ذلك الزمان .

بغضب قال الاب : ـ لن اعطيك ابنتي .»

ذيل الضيق يتجمع في صدر العازف . يحول احزانه الى انغام .

قالت الصبية :ـ

ـ انني اشعر بالنعاس .

وضعت الصبية رأسها فوق فخذ أمها . كانت النار تلهث من بين الجمرات ، كأنما تراقب احزان الفتاة الكبيرة ، وبعد لحظة صمت

قصيرة ، قالت الام : ـ

ـ واقتلع الجلاد عين صانع السيوف ، فصرخ صرخة رهيبة هزت الارض من اقصاها الى اقصاها ، وصرخ كل الناس نفس الصرخة ...

امتدت الفتاة الكبيرة امام « المنقلة » ووضعت رأسها على ساق امها الثانية ، شعرت بالحزن يغمر كيانها ، وبالانغام المتوترة تنقطع فجأة ويعلو مواء قطة .

قالت الفتاة الصغيرة :ـ

ـ لقد ذهب .

نهرتها أمها :ـ

ـ أش .

غرق الاب في صمت طويل كأنما كان يفكر بأمر ما ، ثم ردد بصوت واهن :ـ

ـ لا . لا . لا .

بأصرار عاد الصوت من جديد يصفر ، وعلا الغناء اجمل من الاول يروي قصة صانع السيوف الذي فقد قدميه وعينيه ويديه

ولسفينة نوح نزهة جديدة

عدنان منشد السعدي

العراق

ذلك الصباح عندما كان الهور منتفضا ، كان رجل قصير اشيب ذا ساقين عاريتين يسير متسللا في محاذاة الجرف الطيني متلفتا للماء بين حين وحين . كان الماء وقتئذ من الارتفاع الى حد ان نهايته النابضه بالحشائش واعواد البردي بلغت اكواخ القصب المتفرقة على الشاطىء . وكان الرجل القصير مندفعا على السير ، خطوة أثر خطوة ، يخوض الماء بصعوبة ، اذ ان الامواج ما زالت تحمل عنفوانها تحت قدميه الغاطستين فتجعله يتمايل مع حركة الريح بانفعال مرهف . فبينما هو يواصل سيره على الشاطىء وجسده مائل بشكل مقوس ، مفكرا بأيامه الآتية ، يتوقف قليلا . انه الان يسبق الآخرين في الالتقاء بالهور الهائج قبل ان يشهدوا جميعا هزيمة الموج في وضح النهار .. !

كانت الامواج المتهشمة على الجرف الطيني ناصعة ، غضة تحمل بين طياتها فقاعات صغيرة وزبد أبيض كثيفا تناثرت اجزاء منه حول تجاويف الطين النافثة للخريف الخافت عندما يفارقها الماء اللدن . كان الهور هاجعا يومض في العوالم البكر ، ناصعا بأكمله في خضم الاضواء السحيقة للصباح ... هكذا رأى الهور وكأنه يراه للمرة الاولى ، فأتسعت عيناه ، اتسعتا اكثر حينما اخذ الموج ينحسر، متدفقا الى الوراء بعيدا عن الاكواخ وأشجار النخيل الممتدة صفا على الشاطىء . رأى الهزيمة لوحده ، شهدها بعينيه المشكلتين وحسب لحظتها ان لهذا الاندحار اياما يتحرك لها الشوق اذا اقتربت، اياما هادئة ، شفافة لم تزل آثار سيولتها في ذاكرته . . ! !

نظر من جديد الى الهور اذ بدأ الماء يقترب من حد هدوئه الادنى ، فظهر له الشاطىء جميلا يتلوى كأفعوان . كان الطين نقيا دون شائبه . كانت الامواج في رحيلها قد خلفت على سطحه البني قطرات ناعمة ، ملتمعة تحت الشمس التي بدت دافئة للتو . كان يمتد ما بين الاكواخ المتسخة والهور المزرق كشريط مرتعش في هدوء غير اعتيادي وبالرغم من ذلك فأن حافته المخرمة جعلت (حسين الناهي) يستيقظ من غفوته ليتجه نحو سفينته الطافية على الماء في ايقاع راقص .

اقترب من السفينة ببطء . لم تكن مجرد سفينة تشغل حيزا من الشاطىء بجسدها الواسع وصاريتها الثخينة ، بل كانت حوتا يتلمض على سطح الماء بكبرياء . احسن بعنادها الكبير مندهشا

حينما وجد بجانبها سفن الآخرين محطمة ، كئيبة ، غاطسة الى النصف . كاد يشعر بعنادها المستحيل للموج في الليلة الفائته عندما رأى بطنها ممتلئة بالماء ، ولكنها الآن حره تتراقص باتزان على السطح، والشراع ما زال ملتفا حول الصارية منذ البارحة حينما فرغ من نزهته وشد الحبال عليه . واذ تأكد من ذلك تناول الدلو الصدىء واخذ يفرغ سفينته من الماء متأرجحا بجانبها كطفل مرتعش .

هكذا احس بانفعالاته واراد ان يطلق من اعماقه صرخة الفرح ، ولكنه عدل عن ذلك . اذ يجب عليه ان لا يضيع لحظة واحدة ، فبعد قليل سيأتي الناس . كان الماء داخل السفينة قد بدأ يتناقص . وكان هو قد بذل جهدا لافراغه . وما هي الا لحظات حتى بدا الخشب بنيا ، قاتما يحمل سحنة البلل . رمى الدلو جانبا ورفع رأسه ، نظر الى السماء ثم الى الماء واجال النظر في النهاية البعيدة للهور . لم تكن ثمة نهاية ، بل انها تلاشت تماما عن عينيه ، فظهر الماء شفافا يحمل صفاء المرآة ، وبدت حزم البردي منحنية كنتف متفرقه ، ضائعة هنا وهناك . ولاحت طيور الهور على السماء فأنتبه مذهولا لصرخاتها التي راحت تمزق صمت المكان . وعندما مرت به نسمة رقيقة احس بهاجس شفاف يمسد وجهه كالحفيف ثم شعر به يتشرب في جسده ... وبهدوء ، بهدوء اخذ يتسلل نحو الاعماق :

ـ انه نهار مناسب ياحسين الناهي .

ـ ولكن .. ! .. هل تعتقد بأنهم سيأتون ؟

ـ انهم امام امر لا مفر منه فالسفن جميعا محطمة عدا سفينتك .

ـ لم اكن اصدق انني ساعود الى مهنتي من جديد .

ـ **ابناؤك هم السبب .**

ـ اللعنة على الابناء . لقد اقنعوا الناس بعجزي كما يعتقدون .

ـ ولكنهم لم يستطيعوا اقناعك بالتخلي عن الهور .

ـ كيف .. ؟

ـ هم يعلمون بنزهتك اليومية فيه مع سفينتك مستمتعا برائحة السمك والطين . . . لم يعارضوا هذه النزهة ابدا .

ـ عزائي الوحيد في هذه السفينة . الجميع يطلق عليها سفينة نوح .. !

ـ يجب ان تفرح لهذا الاسم . ها هي أمامك كأنها سيدة المكان وسيأتي الناس بعد قليل لتحملهم بها . كن مستعدا .. لا تقف هكذا .. تذكر ذلك ياحسين الناهي .

انقطع الهاجس في اعماقه . قفز من مكانه وشرع يبحث عن شيء يغطى به قاع السفينة الرطب ، وحينما صعد المرتفع الترابي احس فجأة بغبطه غير اعتيادية تعم جسده . حمل حزمة ضخمة من الحشائش الخضر وتقدم بها سفينته ثم اخذ يرتبها بعناية بالغة على سطح الخشب الرطب . ولم تمض الا دقائق قليلة حتى فرغ من انجاز العمل بدقة . كانت جبهته تتصبب عرقا . مسحها بسرعة وفكر قليلا ... يجب ان يكون هادئا قدر المستطاع التمعت هذه الفكرة في ذهنه ووجد نفسه قد فرغ تماما من اعداد السفينة . اعتلى مقدمتها ببطء ومدد جسده على السطح الخشبي وقرر الانتظار .

بعد ذلك وفد الناس .. رأى المجموعة الاولى تتقدم من جهة النخيل ، رجلان وامرأة عجوز ومعهم طفل صغير بدت صفرة شعره واضحة على الرغم من بعد المسافة عنه . ابصرهم يتقدمون ببطء وعرف ما يدور بينهم من حديث فضحك مع نفسه بصوت خفيض . اتضح له حديثهم بشكل اكثر حينما رأى احد الرجلين يشير بأنفعال الى السفن الغاطسة بينما راح الرجل الآخر يهز رأسه مرتبكا . ضحك ثانية وحرك جسده قليلا وعيناه ما زالتا تتابعان حركاتهم . شاهدهم اخيرا يقتربون من المرتفع الترابي فبدت له ملامح الطفل واضحة ، قريبة حتى انه حدس معنى الاستغراب في وجهه الصغير عرف لحظتها ان هذا الطفل يبدي دهشته للسفن التي التهمها الماء . في تلك الاثناء اراد ان ينطق بشيء ولكنه لم يجرؤ على ذلك فقد وجد بأن احد الرجلين قد انتبه لمراقبته لهم ضحك من جديد وحرك جسده نحو الطرف الآخر .

رأى هذه المرة المجموعة التالية تتقدم من الجهة الثانية . رجل وأمرأة يتبعهما خروف اسود . وفي اعقابهم امرأة شاهد عباءتها ملفوفة حول خصرها وهي تحمل سلة كبيرة على راسها . شاهدهم جميعا يقتربون بوجل من المجموعة الاولى ، وكأنه ادرك حيرتهم حينما لمح علامات الدهشة في عيونهم المتجهة نحو السفن الغاطسة . بدا يسمع اصواتهم واضحة ، مستفسره ثم سرت في جسمه نشوة اثر هذا الموقف اراد ان يقفز من مكانه ولكن فكرة خاطفة داهمت رأسه ففضل الصمت ثانية شاهد بعد ذلكعربة ذات حصانين تقف امام

الحشد . ترجل منها رجل شديد الهزال كان يعتمر يشماغا بلا عقال ويرتدي دشداشة بيضاء . وتبعته من العربة عجوز في عباءة سوداء من الصوف وثوب طويل أسود . وسارا ، بهل شديد جنبا الى جنب متقدمين نحو الحشد . كان العجوز يحمل وجها كئيبا شاحبا . وكان لدى المرأة العجوز قنينة فارغة وصندوق صغير . وعندما دنا الاثنان من جمهرة الحشد استطاع ان يلمح في وجهيهما معا علامات الانكسار والشك . شاهد ايضا ان المرأة تضع الصندوق على الارض وهي تحاول مساعدة زوجها المتوجع في الجلوس . عرف انهما ينويان الذهاب الى المستشفى . حز ذلك في نفسه كثيرا وقبل ان يبلع ريقه ابصر رجلين في عربة اخرى . كانا قد احضرا معهما سلتين من التمر واكياسا مبللة حدس ان في داخلها خضروات غضه ورآهما يهبطان بها الى الارض بسرعة . وبعد ذلك تقدما واستفهما عما يدور بين الناس المحتشدين ... امام هذا المنظر رأي نظراتهما تتوجه اليه ، تتجمدان في عينيه . احس بهما صارمتين قاسيتين على الرغم من انهما لا تفصحان بشيء .. !

بلع ريقه بجفاف . وتطلع الى الجرف الطيني في الجهة البعيدة من الطرف الشمالي . كانت مجموعتان من رجال ونساء واطفال في ثياب ملونة يتجهون في طريقهم نحو الشاطىء . كانوا يحملون دفوفا كبيرة وهم يتقدمون نحو الحشد بصخب كبير وغبار كثيف . وعندما بلغوا الحشد كفوا عن صخبهم عدا الاطفال وانشغلوا مع الحشد في حديث مكتوم واستطاع ان يميز بين النساء امرأة واحدة كان وجهها

مغطى ببرقع ابيض . اهتز قلبه لهذه المفاجأة .. ! .. ثم شاهد بعض النساء يختلسن النظر اليه بين حين وآخر .

سره ذلك كثيرا واحس بما لا يقبل الشك ان ثمة احساس غريب يجعله مستمتعا بهذا المشهد . شعر بالخدر يسري دافئا ، لذيذا في جسده وقد احتواه ضوء الشمس وهو في اضطجاعه الغريب امام هؤلاء الناس المحتشدين ولا يعلم كيف ينهض بعد حين .. ؟! راوده هذا السؤال خاطفا ، وبصعوبة حرك رأسه بلفتة مستديره لهم لفتة غير ذات مغزى . . ! ! . . هكذا اعطى التأويل لنفسه حينما وجد العيون متجهة اليه بحيرة لاتخلو من شك مع علمه اليقين بأنها تحمل سؤالا مستحيلا لا ترف له الاهداب امام هذه المواجهة . حاول ان يفسر حشرجة اللغط الملتفة حولهم الا انه عجز عن ذلك . رمق الاطفال بنظرة صارمة وادرك انهم بصراخاتهم المستمرة يحجبون عنه تسطير الكلمات وتفسيرها .. ! .

اغمض عينيه برهة ثم فتحهما ونظر الى الشاطىء بأمعان . كان عدد الناس الذين جاءوا سيرا على الاقدام وبالعربات من الكثرة بحيث تداخل ظلهم على الشاطىء بفيء ثخين متجاوزا حدود الماء . واثناء ذلك كانت اعداد من النساء قد جلسن على الارض ، وحشد من الرجال كان قد انزوى الى الصمت . وحشد آخر يدخن السجائر بامتعاض . وكان الاطفال يتصايحون ويصرخون في جنون يرسمون دوائر على التراب . كانت ارض الشاطىء صاخبة بالاقدام والاجساد

واكياس الخضر والصناديق الفارغة وسلال التمر والدجاج والقشور مع اعقاب سجائر متفرقة ، صفراء .

حرك جسده بأكمله ملقيا ذراعه على عليائه ورفع رأسه الى الوراء حتى تجاوز حافة الخشب وبدا وكأنه ينظر الى نهاية الهور . الا انه ابتسم فجأة مستسلما لهاجس جديد ... ايه .. ياحسين الناهي ، كيف ستبدأ .. .. ؟ .. سؤال يحلق فوق جسدك، ويركب اجنحة الشوق ثم يهبط في رؤوس هؤلاء الناس المحتشدين ثم يطير على الطين والماء والبردي ليسكن بين ضلوعك متسللا نحو قلبك. ! .. قلبك بالذات .. !! .. تذكر ياحسين الناهي انه نهار مناسب .. نهار جديد لتكون فيه جديدا بعد ان تصوروا فيك العجز والشيخوخة ... انك تنتظر هذا النهار بلا شك . تنتظره منذ زمن طويل ، وربما لم تفكر فيه مطلقا .. !! .. انظر اليهم .... هاهي عيونهم حيرى، متشككة وان بدت لا تعرف النظر اليك .. اجل .. انظر لهم بصدق .. تمعن في وجوههم وتذكر هورك العزيز .. لا يهمك الماضي .. انهم الآن في محنة من امرهم .. انت ترصدها فيهم بدقة .. ولكن لا تنتظر الاعتذار .. ! .. فالهور الذي ترعرعت بين سمائه ومائه يأبى ذلك .. اجل ، اجل تذكر هذا الامر .. لا تنس ان هذا الهور لم يصد عنك يوما .. وكذلك هؤلاء الناس .. وان ابتعادهم عنك لم يكن الا بامتعاض .. تذكر ذلك ياحسين .. فالهور والسفينة والناس بالانتظار .. كلهم بالانتظار .. سيعرف ابناؤك في هذا النهار ، انك

ما زلت قويا ، شابا كما كنت من قبل .. لم هذا الصمت .. ؟! .. كف عن الاسترخاء .. لا تحرجهم .. كف عن هذا المزاح الثقيل ولا تنس ان سفينتك كافية لاستيعابهم .. انها سفينة نوح كما عرفوها .. هيا ياحسين الناهي .. عجل في الامر .. عجل ..!!..

وخلال لحظة خاطفة كومضة برق ، اندفع الهاجس مع الدم حارا في عروقه . احس جسده يلتهب . وبدأت حرارة غريبة تتولد وتزداد في كيانه . قفز من مكانه واقل من اي وقت مضى كان منتصبا كالصارية على ظهر سفينته . نظر لهم بأمعان . لقد بدوا الآن امام عينيه في حالة استعداد تام ينتظرون بدء الاشارة .. ابصارهم واجسادهم مشدودة بقوة غريبة نحوه . همسة ، او رنة ، او صلصلة ، او خشخشة تلك كلها حركات كاد ان ينسى معناها . كان السكون هذه المرة يغلف الشاطىء ، ولا ضجيج البته خارجا عنه . كانوا الآن وقوفا عيونهم ترنو اليه بشفافية القناعة التي اكتشفت منذ قليل .

وفيما هو راح ليحل الحبال عن شراع ، كانوا هم يحزمون امتعتهم ويصعدون السفينة على اللوح الخشبي الذي وضعه لهم على التو . وعندما رفع عمود الخشب الطويل عاليا فوق هامة رأسه نظر حواليه بنشوة .. رأى الشمس ساطعة والسماء زرقاء ، زرقاء اما الهور فقد بدا له عزيزا ، صاخبا ، مرحا .

قطة وثلاثة بيوت

محمد عطا الله

العراق

١ ـ في الدار المرقمة ١٧ / ٢٦

انتبهت المرأة الى حركة مجهولة تصدر من تحت السرير فألصقت جسدها العاري بزوجها النائم وقد دفع الخوف حواسها فبرزت الى الخارج ، هدأت الحركة فحاولت المرأة ان توقظ زوجها النائم بأن تهز جسده المخدر ، لكنه انقلب الى الجهة الاخرى ، وعادت الحركة المجهولة من جديد فلم تدر المرأة ما تفعل وقد غارت في داخلها الكلمات ، وكان الخوف خلاقا فلاحظت المرأة أذن زوجها القريبة من فمها فعضتها مما جعل الرجل ينتفض وقد تعبا بالخوف حتى نهايات شعره ..

تشجعت المرأة فأشعلت المصباح القريب وعند ذلك استطاعت ان تهتدي الى الكلما تالضائعة في داخلها فصاحت : انـه تحـت السرير .

وقبل ان يتساءل الرجل لاحظ اصبع زوجته يصعد ويهبط مشيرا الى أسفل ، وبمجرد ان نقلت أعصابه الاشارة الى دماغه ، انتفض بحركة سريعة ، وبقفزة واحدة أصبح يقف مع زوجته عنـد الدولاب الخشبي الذي فتحه وراح يبحث بمحتويات مجراته عـن مسدسه المحشو في حين وقفت المرأة ترتجف كأنها تؤدي رقصـة زنجيـة ..

وعادت الحركة الى الظهور ، فترك الرجل المجرات المفتوحـة وركض نحو الباب ليسحب زوجته الى الغرفة الثانية ويوصد بابها بالمزلاج ، وآنذاك نزعت الحركة عن نفسها ثياب الابهام واستطاع الزوجان ان يتبينا بوضوح صوت مواء ناعم لقطط صغيرة حزينة ..

عاد الرجل الى غرفة نومه ليرتدي ثيابه ويلقي بالقطط الـى الشارع ثم يقفل من ورائها الابواب والنوافذ ويلج الى سريره فيتعرى ويلتصق بجسد زوجته . . اضطربا قليلا ثم سرى جسديهما خدر كبير تحول الى نوم عميق له شخير ...

٢ ـ في الدار المرقمة ١٨ / ٢٦

قالت المرأة لاولادها

ـ هل شبعتم يا أولادي ؟

أجاب الاولاد بصوت واحـد

ـ نعم شبعنا يا ماما .

ـ حسنا . اذهبوا الان الى حجرة الدراسة خذوا كتبكم واقلامكم وعجلوا على المدرسة فقد بقى امامكم نصف ساعة تتخرجون بعدها ضباطا واطباء ومهندسين .

تسابق الاولاد الى حجرة الدراسة ، وصل كل واحد الى صندوقه ، وفوجئوا عندما وجدوا صندوق اخيهم الصغير يمتلىء بقطط صغيرة ملونة . اجتمعوا حول الصندوق واخذوا يراقبون القطط بانتباه لذيذ ..

قال الكبير : سيكون لكل واحد منا قطة .

قال الصغير : القطط لي لاني انا الذي وجدتها .

تساءلت البنت : ماذا سنفعل بها ؟

اجاب الكبير : فليضع كل منا قطة في حقيبته ويأخذها الى المدرسة .

صاحت البنت : ستضربني المعلمة اذا اكتشفت القطة في حقيبتي .

صرخ الصغير : لن أدعكم تأخذون قططي .

سأبقى هنا قربها .

سألت البنت : والمدرسة ؟

أجاب الصغير : لن أذهب الى المدرسة .

لاحظت الام تأخر اولادها فدخلت اليهم ، تقدمت منهم قليلا وحين رأتهم يجتمعون حول صندوق أخيهم الصغير ويصبون نظراتهم

فيه ، نظرت معهم فرأت القطط الصغيرة مغمضة العيون وهي تتحرك فوق الكتب فصرخت بهم :

ـ هيا . هيا الى المدرسة .

صاح الاولاد : سنلعب بالقطط . لن نذهب الى المدرسة . احست المرأة بآمالها تنهار فجأة ولن يصبح اولادها ضباطا وأطباء ومهندسين ، بل جنودا وعمالا وباعة متجولين فجفلت ، وآثرت ان تداري الامر بالحيلة والوسيلة قبل ان يفلت الامر وينتهي أولادها الى ما انتهى اليه اولاد مريم الخبازة . وقالت وهي تربت على ظهورهم :

ـ ستلعبون بالقطط بعد عودتكم من المدرسة صاح الصغير باكيا : سألعب بالقطط الان . لن اذهب الى المدرسة .

قالت الام : لكنك يابني ستصبح مهندسا . والمهندس لا يلعب بالقطط .

صرخ الصغير : لن أصبح مهندسا .

طبعت الام على خده قبلة وهي تقول :

ـ القطط يابني جائعة ولا تستطيع ان تأكل اذا رأتك واقفا .

ـ سأضع لها الطعام وأنظر اليها من النافذة

ـ لكن القطط تشرب الحليب ، وانت لا تملك ثديا . هيا اذهب الى المدرسة وسأرضعها لك من ثديي هذا ـ وأخرجت ثديها ـ الى ان تعود .

مشى الطفل نحو الباب وهو يلتفت .. وبعد ان فرغت الام وتأكدت تماما من ان أولادها سيصبحون ضباطا واطباء ومهندسين ، حملت القطط الصغيرة المغمضة العيون وألقت بها الى الشارع ..

٣ – في الدار المرقمة ١٩ / ٢٦

دخلت الحاجة شكرية الى غرفتها لتصلي العشاء فسمعت وهي تقرأ ما تيسر لها من سورة البقرة ، صوت مواء حزين لقطط صغيرة ، عجلت بصلاتها واتجهت الى الصندوق الخشبي الذي يمتلىء باحذية زوجها القديمة ، وعندما رأت القطط خرجت مسرعة وجلست تنتظر مجيء زوجها من الجامع القريب ..

كانت الحاجة شكرية عاقرا لا تلد ، فسألت لماذا يعطي الله القطط الذرية وهي لا تصلي ، ولا يهب حجاج بيته الحرام ولو طفلا واحدا تقر به عيونهم ، ودخل الحاج محمود ، لاحظ زوجته مستغرقة في تفكير عميق فظن انها تسبح لله ولم يشأ ان يقطع عليها تسبيحها فذهب الى غرفته وتناول مصحفه وانشغل بالترتيل ..

دخلت الحاجة شكرية الى حيث يجلس زوجها وقالت :

– صدق الله العظيم . لعلك ياحاج لا تعرف ماذا لدينا .

اغلق الحاج محمود مصحفه ورفع رأسه اليها

– ماذا لدينا ؟

– قطة ولدت .

نكس الحاج محمود رأسه وفتح مصحفه

– هذه يا حاجة نعمة من الله يزيد بها من اجرنا .

ولم يعجب الحاجة شكرية الجواب فجلست قربه وهي تقول : لكن يا حاج . نحن والحمد لله نصلي ، وهذه القطط ستزيد من النجاسات التي تنقض وضوءنا .

التفت الحاج محمود اليها ، هز رأسه فخشخشت فيه الاحاديث : القطة ليست نجسة

أسقط بيد الحاجة شكرية فأطرقت قليلا ثم قالت : لكنها تنام في صندوق الاحذية .

ولم يجب الحاج محمود وقد استغرق في ترتيله بخشوع كبير ، تركته الحاجة شكرية وهي تقول :

ـ سألقي بها الى الشارع .

قيل ان الحاجة شكرية بعد ان ألقت القطط الصغيرة الى الشارع وأوصدت من خلفها الابواب والنوافذ ، عادت فغسلت يديها ثلاثا بالماء والتراب ، ثم دعت زوجها الى الطعام فأكلا ثم حمدا الله حمدا كثيرا .

الوطن ابوا ب موصدة وسماء غاضبة ينز من جبينها العرق ويتوالى من فمها الزفير فتكنس الريح الغاضبة كل الكائنات التي لم تفهم معنى الخطوة التي خطاها المحترم (مدحت باشا) بأصداره « نظام تسجيل العقارات بالطابو » ..

وقفت القطة الام تراقب صغارها المغمضة العيون وهي ترتجف وقد أفقدها الجوع اصواتها

كانت الاحزان تقفز هنا وهناك ثم تصطف أمام القطة لتمارس ألعابها السويدية .. والمطر يهمي والريح الباردة ذئاب انطلقت من الاسر ، وما زالت القطة الام تقرع الابواب الموصدة بمخالبها تارة وبأسنانها تارة ثم تعود الى صغارها علها ترى نبعا من الحليب والدفء يتفجر تحت أقدامها وتتكرر معجزة هاجر واسماعيل ..

لكن عصر المعجزات مضى والسماء لم تعد تستدرج بسهولة ، والليل ما زال حتى مجيء الكناس الذي حمل القطط الصغيرة الجامدة ومضى تتعقبه القطة الام بعينين حمراوين مدمعتين .

الصمان

نجمان ياسين

العراق

كان المطر يهمي ،وكانت العربة تسير برعونة وحشية يتحكم فيها الحصان الوحيد الذي راح يجر العبء مرغما . وضمن فترات قصيرة كان الحوذي يرخي العنان فيندفع الحصان كالبرق او يروح ساحبا العنان فتتهادى العربة بطيئة متثاقلة وهي تتدحرج بأعياء على ارضية الشارع الموحل الملتمع في بعض الاجزاء التي ناشها الماء وجعلها صقيلة كالزجاج وهي تستقبل الاضواء المتناثرة مع حركة العربة والتي لايكاد الرجل يتبينها او يتملى سحرها الاخاذ الا وقت يتباطأ الحصان حين تعترض الشارع الحفر المائية المتعرجة او الانكسارات العديدة في الطريق .

اعتدل الرجل المسترخي في المقعد الخلفي من العربة وبدأ يرقب قطرات الماء الموزعة بشفافية على المعطف الشمعي للحوذي والتي كانت تتوهج برونق بهيج وتتناثر تارة او تعود لتلتم في قطرة واحدة سرعان ما تنفرط الى قطرات صغيرة تسيل على شكل خطوط رفيعة .

دهشت المرأة التي تغفو على صدر الرجل عندما ازاح جسدها وابعدها بهدوء وراحت ترصده وعيناها تحملان الرغبة المشحونة برائحة الخمر والعطور الاجنبية المختلفة .

قالت المـرأة :

ـ الدنيـا بـرد .

قال الرجل : المطر جمـيل .

قالت المرأة وهي تدحس صدرها في احضان الرجل : ذهبنا الى البيت مباشرة .

قال الرجل : الحصان جميل . والحوذي ايضا .

تشبثت المرأة بجسد الرجل وقالت : سأموت من البرد .. احميني ..

همس الرجل : سأفعل ، انظري .. المطر عروس رائعة .

سألت المرأة : لماذا خرجنا من مكاننا اذا لم تكن تريد الذهاب الى البيت ؟ ..

سأل الرجل : هل انت ضجرة ؟ .. استطيع ان اعود بك الى المكان ، الا ترين جمال الحصان تحت المطر ؟ ...

احتجت المرأة وارتعشت تقاسيم وجهها المغطى بطبقة كثيفة من المساحيق الحمراء ، البيضاء الزرقاء : احبك ولو لم يكن الامر هكذا لما تركت المكان وجئت معك .

قال الرجل : الا ترين جمال الحصان . ..

اجابت المرأة : سأنفجر .

قال الرجل : نحن هنا بمنأى عن صخب المكان .

بضراعة مستسلمة رجته المرأة : لنذهب الى البيت .

حملت نبره بعض الضجر ونفاد الصبر وقال : انا ايضا اريد الذهاب الى البيت ، لكنني الان مولع بجمال الحصان تحت المطر .

سألت المرأة وهي تدعك صدر الرجل بعد ان امتدت يدها الى لحمه المتماسك القوي : هل الحصان اجمل مني ؟ ..

صمت الرجل .

سعل الحوذي .

اندفع الحصان في الشارع الصقيل كرقبة عذراء ساحرة وتجاوزت العربة اشجار الفستق التي امتدت لمسافات واسعة متراقصة تحت المطر .

سألت المرأة : هل الحصان اجمل مني ؟ ..

سكت الرجل ثانية .

بكت المرأة وانتبذت ركن العربة منكسرة والخيبة تلطم جسدها فيرتج نهداها المندفعان الى الامام بقوة .

قال الرجل : الحصان جميل ، جميل ، والحوذي ايضا .

اليس كذلك ؟ ..

لم تجب المرأة .

التف ذراعه حول خصر المرأة وقرب جسده منها فارتطم بصدرها الصاعد الهابط . وقال :

اليس كذلك ؟ ..

استكانت المرأة وقالت برضى: الحصان جميل والحوذي ايضا.

قال الرجل وعيناه مخضلتان بالاسى : لكنهما متعبان ،متعبان.

ونظر الى المرأة وهمس : انت ايضا متعبة .

قال هذا وتطلع الى الحوذي والحصان ثم ردد بآلية : المدينة ايضا متعبة .

ارتسمت الدهشة في وجه المرأة فاضاف : والعالم .

وفجأة انتفض من مكانه رافعا جسده الى الاعلى ومادا اياه خارج مدخل الحوض الخلفي للعربة وع بحفنة هواء شعر بها تتسلل باردة لاذعة الى صدره .

كانت المرأة تنظر اليه ووجهها حيرة ذبيحة .

عاد الرجل الى مقعده وبسكينة وادعة ضم المرأة اليه وقال :

ـ عندما كنت صغيرا كنت امشي تحت المطر اتمنى ان امشي عاريا ، هل كنت تمشين تحت المطر ؟ ..

قالت المرأة : كنت احب المطر ، لكني لم استطع المشي تحته لئلا تبتل ملابسي .

قال الرجل : لوجربت لذة المشي تحت المطر ! ..

استعاد الرجل تلك اللحظات الموغلة في زمن مفقود ، زمن الصبوات والطفولة الهائمة تحت الضوء والمطر . في النهر والغابات الاقبية والخانات ، في عتمات المدن وازقتها الشعبية ، في الاماكن التي تعيش في حراسة الخوف بعيدا عن الضوء ،البشر الذين يعيشون النفي والوحدة امام العالم . ظهرت الوجوه التي صورها خائفة ، متألقة ، ضائعة مشحونة بالتوتر والرعب : الطيب والنبوءة ،وجوه المجانين والفقراء ، الاطفال والنساء ، عيون البشر المحترقة با لفجيعة المسكونة بالرهبة الانسانية ، المتطلعة الى مصير بشرى قلق غير مأمون .. وجد الرجل نفسه بين تلك الوجوه الاليفة الحزينة ، ووجد نفسه يجوس في ازقة سرية غامضة لتاريخ المدينة ، التاريخ المزدحم بروائح انفتاح الاشياء وتألقاتها البكر المغتلمة . وجد نفسه وسط عالمه الرحب منتشيا ، مستغرقا في نشوة صوفية تجعله يندغم مع ادق النأمات .

سألت المرأة : اين انت ؟ ..

قال الرجل : في الليل، عندما يسقط المطر ويسير الانسان تحت سماء الله والريح تضرب جسده . في هذه اللحظة تتجلى الاشياء اتعرفين ان المسألة اكبر من انتوصف ، اكبر من ان توصف حين تسيل قطرات الماء على الوجه مختلطة بلذعة العرق المالح في الفم ، والاضواء تلتمع على جانبي الطريق ، تتناثر الاضواء والاحاسيس و ...

سألت المرأة : ماذا ؟ ..

قال الرجل : لاشيء .

ظلت العربة مندفعة كسهم طائش وسط عتمة الليل العابق برائحة الاعشاب البرية وجذور النباتات المتراقصة بين شجيرات الفستق التي كانت تتمايل بوجه الريح والمطر المتساقط كخيوط بلورية شفيفة ، كان الرجل يشم رائحة الليـل والمطر والعشب ، وكان يشم رائحة المرأة والحصان

قال الرجل : انها لرائحة غريبة .

سألت : رائحة غريبة ؟ ..

اومأ الرجل برأسه وهمس حالما : هل يستطيع الانسان ان يبدع تركيبا لرائحة هي مزيج من المطر والعشب . ومن المرأة والحصان ؟ .

اجابت المرأة ببساطة : لايستطيع احـد ان يفعل ذلـك

حملت نبراته الحسرة : ياللخسارة

سـعل الحوذي .

اندحست المرأة في صـدره .

احس بالتوتر ينبض في عروقه ، يحيل مشاعره الى كتلة تضج بالفجيعة ، تمور باختلاطات يعجز عن ادراكها ، اختلاطات ، سرية يحسها كالنصل المرهف في الاعماق لكنه لايدرك طبيعتها .. أحزنه ذلـك .

قالت المرأة :لماذا لا تتكلم ؟ ..

تساءل : لماذا لا اتكلم ؟ ..

قالت : اجـل .

قال : الحصان يتكلم .. هل تعرفين لغة الحصان ؟ .. هل اصغيت لوقع حوافره ؟ ..

رجته المرأة : لنذهب الى البيت .

اعترض : لازال الليل في اوله

احتضنته برفق وقالت بصوت يختلط ورعشة بكاء مختنق : الساعة تجاوزت الواحدة .. وانت متعب .

هز رأسه .

اضافت : اعرف انك متعب وعنيد .

كرر الرجل : اجل متعب وعنيد .

في الصباح المترع بضوء الشمس . كان يرقب غيمة مسافرة ويحلم بتصويرها .

في الصباح المترع بضوء الشمس توقفت السيارة ذات الرقم الابيض ، هبط منها رجلان انيقان ، اقتربا وأخذا يتحدثان عن التصوير وعن اعجابهما به ، عن المدينة وواقع الاسواق .

فجأة قال احدهما : استاذنا الكبير جميع صورك رائعة باستثناء صورة الجمجمة والنقود .

واصل الاخر : انها تبدو نشازا وسط صورك الجميلة .

تطلع الرجل الى صورة الجمجمة ، كانت الصورة تجسد بنظرة المصير الانساني ، وكان يعتقد ان القناعة في العمل هي جوهر

الاشياء ، كان مقتنعا ان الجمجمة الراقدة وسط حفنة من النقود الورقية والمعدنية تقول شيئا كبيرا ، شيئا يعيش من اجل ان يعرفه الاخرون .

قال الرجل الاول : لذا نقترح ان تبعدهـا عن صورك .

قالت المرأة : ـ لماذا لا تتكلم ؟ ..

اخرج الحوذي علبة سجائره واشعل واحدة وراح يردد لحن اغنية شعبية حزينة تتحدث عن الفراق والاحباب والموت .
ازدادت شراسة المطر .

قال الثاني : اجل عليك اخراجها من بين صورك المعروضة .

قال الرجل : لكنها صورة جيدة .

قاطعه الاول : ولكنها يائسـة .

قالت المرأة : انك تقتلنـي .

اكمل الثاني : وتحتقر الثروة .

قال الرجل : انا اريد هذا .

قال الاول : كل الاصدقاء أثارتهم الصورة .

ادرك الرجل مايريدان فقال بحدة : ستظل الصورة في مكانها لن أزيلهـا أبدا .

اتجه الرجلان الى السـيارة .

واتجه الرجل صوب صورة الجمجمة والنقود وهمس بفرح طفولي :

ـ لقد حققت الهدف .

قالت المراة : اما ان نرجع او تتكلم .

قال الرجل : اشتهي ان اقود العربة .

سألت المراة : مـاذا ؟ ..

اكد الرجل : اشتهي ان اقود العربة .

كان المطر يتساقط لطيفا رائقا والحصان يمرق ككائن خرافي وسط فضاء الليل البهيـم ورائحة الجذور والاعشاب والحصان والمراة تهاجم الرجل . قال الرجل للحوذي : توقف

تباطأت العربـة .

قال الرجل : اعطني مكانك .

دهش الحوذي . دهشت المراة .

كان الليل افقا من السحر والعشب والمطر .

قال الرجل للحوذي : هل انت متزوج ؟ ..

رد الحوذي : عندي خمسة اولاد .

سأل الرجل : تعمل في الليل فقط ؟ ..

اجاب الحوذي : لا يسمحون لنا بالعمل نهارا .

قال الرجل : كم تقبض لو عملت كل الليل ؟

قال الحوذي : دينار ، دينار ونصف .

اخرج الرجل قطعة ورقية حمراء ، دسها بيد الحوذي ، اخذ مكانا قربه وقال :

ـ هي لـك

نظر الحوذي اليه ، الى المرأة باستغراب واحتجاج ! ..

قال الرجل : دعني اقـود العربة .

تردد الحوذي . اشتعلت عيناه خوفا فقال الرجل : لاتخف ..انا سائق ماهر .

ظل الحوذي مترددا .

قال الرجل : ستراني عندما اقود العربة .

كانت المرأة تنظر بهلع ودهشة والحوذي مأخوذ بالمفاجـأة عندما اطلق الرجل عنان الحصان فتهادت العربة ، ورويدا ، رويدا كانت سرعتها تزداد وهي تتوغل في قلب الليل المشحون برائحة المطر والعشب والمرأة والحصان .

واذ بدأ الرجل يقود العربة بحماس كان يحلم بصورة جميلة للحصان تحت المطر .

القبـــيح والـــوردة

جار النبي الحلو

مصـــر

النهر رائق .. الشمس تدفئه .. وهو ينساب في هدوء وطيبة ، وماهذه القوارب غير لعب صغيرة .. والنهر واسع . النهر رائق .. لاطمى . ولا اعشاب ، والشمس تناثرت قطعا صغيرة في مساحته الواسعة .

ونحن على حافة النهر نتصبب عرقا ، يحيى كان يلهث ، والعرق على جبينه ، والتراب حط على شعره الاكرت . النهار اصبح طويلا على يحيى ، هو في انتظار الليل .. حيث البنت العرجاء في انتظاره .

الشمس حامية ، وحذائي ضاق على قدمي .. وحذاء يوسف من البلاستيك الاسود اللميع ، انحنى يوسف على سور الجسر

الحديدي ، بنطلونه في لون الخضرة ، وعيناه في لون الخضرة ايضا . هامت عيناه بالنهر الذي يحبه اكثر منا جميعـا . قال يحيى انه جائع ، وان الرجل الذي مثله في حاجة الى صحن كبدة في ليلته الاولى .

همس يوسـف:

ـ انظـر

قال :

ـ الوردة .

وردة بيضاء مغسولة بماء النهر ، وتتماوج في بطء .. وثقة .. وجمال .. عندنا نهر نحبه ونخافه .. وبه وردة احبها يوسف .

ويوسف يحب اشياء كثيرة ، ويأتي لنا في الحارة بصورة ملونة تدخل بيت عم سراج ـ الذي به فناء كبير ـ نجلس ونتفرج على الصورة .. صور جميلة ملونة لاطفال لانعرفهم ، غير ان يحيى يسخر منه .. ومنا جميعا ، ويخرج من جيبه قرشا ،ثم يفره في الهواء عاليا .. ويقول هل تلعب يايوسف على هذه الصورة التي سأمزقها بعد ذلـك ؟

ينكمش يوسف ، يتحول لون وجهه الابيض الى حمرة قانية ، وتبدو شفتاه مثل الفراولة(*) .. يهز راسه خجلا .. ويشير باصبعه لا .. ويقول يحيى : من ينازلني «الكراتيه» يرفض يوسـف ..

---

* نوع من الفاكهة يشبه الخوخ يميل الى الحمرة

ونضحك نحن ، ويتبرع احدنا بأن ينازل يحيى .نحن جميعا ابناء حي واحد ، والناس يستعيذون بالله منا حين ندخل الحي ، ويحزنون من اجل يوسف الحبوب الهادىء ، والذي تجذبه النسوة خلف ابواب الدور ، ويفر هاربا كبنت .

ويحيى مكروه من أهل الحي ، هو الاسمر الدميم .. الرأس المدورة والشعر الاكرت .. ويقولون عنه : القبيح .. ابن القبيح

ـ ابن الوز عوام .

هكذاكان الاب رحمه الله ، يخرج على الناس بسكين ، يخرج عليهم عند « الجسر » في الليالي الباردة والساكنة .

يحيى بعينين واسعتين يرعبنا،ولكنه يمدنا بالجرأة والقوة حين ننازل ابناء الاحياء الاخرى ، وهو الذي علمنا السرقة .. والهروب من الشرطة ، وتدخين السجائر ، واماكن حمامات البلدية ، وهو الذي يسهر بنا كل ليلة في فناء بيت عم سراج ، في هذا الفناء المهجور .. الواسع .. الذي به نخلة نجلس تحتها .. ويركن يوسف بظهره عليها ويستمع الينا في هدوء .

● يحيى يتحدث عن أمه والبنت العرجاء

بالامس نادت امي علي برفق .. وحنان .. فعرفت ان هناك شيئا ما سوف أفعله لها ، وانا ـ كما تعرفون ـ كثيرا ما اضحى بنفسي من اجلها ، فاحيانا اسرق لها الطماطم ، والباذنجان ، واحيانا

يضربني الباعة ولااستطيع ان اسرق لها اي شيء ،فتنظر لي بعينيها الكليلتين ، وتقول :

ـ خائب .. رحم الله أباك .. كان يهد الدنيا على دماغ من لايعطيه شيئا . ثم تزحف على الارض متكئة على يديها وذراعها ، وتقعد على عتبة الحجرة تتأمل في الحارة الضيقة .

وبالامس نادت علي بحنان ، وكنت راجعا منذ قليل من دار عمكم (علي) اتضحكون .. لايهم .. ان ابنته العرجاء جميلة رغم كل شيء ، انها معجبة بشعري الاكرت ، وتداعبني .. وتجعلني منتشيا ، واشعر باشياء لن تشعروا بها الا بعد عشر سنوات ايتها الكلاب الصغيرة

ولقد اعطتني (فرح) ابنة عم علي خمسة قروش اطبقت عليها وفررت من الدار فاصطدمت بعم علي شخصيا فضحك حين رآني .. وقال :

ـ انزل استحم في النهر مرة في حياتك . ضحكت عليه .. وسخرت منه .. وقلت له في نفسي : يارجل ياجردل .. ان ابنتك العرجاء متيمة بي ،ولو طلبت منها جنيها لخلقته لي من تحت الارض.

وسرت لاألوي على شيء .. فقد كنت سعيدا ، ذلك لان (فرح) احاطتني بذراعيها وحين لامستني بنهديها سرت بجسدي كهرباء ، وكدت اكلها .. المهم انني لم اضرب طفلا في الحارة ، ولما رآني فهمي بائع الحبوب جرى ووقف امام حبوبه .. فضحكت من اعماقي .. وقلت لاطمئنه :

ـ كيف حالك ياعم فهمي ؟

وتركته ، وتمنيت في هذه الليلة ان ارى الولد يوسف لاشتري منه صورة ملونة ، واعلقها على الحائط ـ مثلما يفعل هو ـ ولكنني اريد صورة رجل يلعب .. «الكراتيه» ويكون طائرا في الهواء ، غير ان يوسف ينام من المغرب كالفراخ . ولم اشأ ان ادخن سيجارة . ولد ياحسن هل معك سيجارة .. ؟ طول عمرك امرأة . المهم .. قلت ماذا افعل .. كنت جائعا .. ربما اجد بالحجرة لقمه خبز .. او بقايا فول . امي رغم فقرنا امرأة حريصة ، فدائما .. وحياة النبي المرسل .. دائما تجد عندنا فول او قطعة جبن .. ودائما عندنا بصل .

لما دخلت الحجرة رمشت امي .. ثم نادتني بحنان .. فقلت لابد انها تريدني في شيء ما .اتجهت اليها في تردد .. قلت :

ـ نعـــم ؟

امي رغم انها مريضة وفقيرة فهي حنون ، ورغم اني اضربها كثيرا ـ من غلبي ـ الا انها تحبني ، وانا حين اريد رضاءها اسرق لها (العجور)(*) فهي تحبه كثيرا ، امسكتني من يدي .. كانت يدها شديدة الدفء .. ثم قالت همسا وكأن احدا غيرنا بالحجرة .. قالت :

ـ ينورها لك يابني .. اريد ان استحم . وانتم تعرفون حكاية

---

* نوع من الخيار يكثر في وادي النيل ويكون شكله مدور كانه البطيخ .

الاستحمام هذه .. كانت (فرح) التي تعبدني .. وهي ابنة عم علي ماسح الاحذية ، كانت تأتي وتحميها ، وحين افشى اولاد الحرام بالسر الى ابيها .. ضربها بفردة حذاء حتى سال الدم من شفتيها وكاد يفقأ لها عين . ومن ثم لم تعد (فرح) تجيىء .. ولجأت امي الى الجيران وفي كل مرة تحميها امرأة ، وامي تكره القمل جدا ، ولكنها لاتستحم رغم هذا الا كل عدة شهور مرة هرشت في راسها .. سألتها :

ـ كيف احميـك

ضحكت وقالت :

يابن المرة .. هات الماء من النهر .. ثم سخنه ونزلت الى النهر ، وحملت برميل المياه على كتفي .. واهل الحارة سخروا مني ... وعرفتهم بالواحد .. وسوف اجزيهم على اقوالهم . لم يعد للسجاير طعم .. أف

كانت امي في الطشت غيرها في الملابس ـ الجسد ضئيل .. ضئيل .. يرتعش .. والجلد مثنى .. وعلى الجسد وسخ غريب .. انتابتني رعشة البداية ، وقفت وراءها .. وبالكوز اخذت اصب الماء على راسها ، وكانت تحرك يدها التي اكلها الروماتيزم بصعوبة .. ثم قالت .

ـ اغسـل راسي .

نزلت المياه سوداء .. ثم اخذت امر بالليفة الخشنة على ظهرها المعظم .. ثم .. ثم .. واجهت امي من الامام ، كانت عيناها في

هذه اللحظة فرحتين .. لكنهما تغوصان في جمجمة ، وماكنت اظن ان شعر امي في فقر غريب ، وانت الذي كان يملك سكينا حادة !!

شعرت بالدوار .. هذا الجسد الضامر .. وهذه العروق النافرة ، مددت رجليها بصعوبة حتى اغسلها دعت لي بزيارة النبي .

احسست بالاختناق «فرح» لوانها استحمت .. لو تمددت .. لو نامت ..لو ان يدي راحت تتحسس هذا الجسد النضر. الاختناق .. وابور الجاز يشع دفئا .. عينا « فرح »تشعان نورا غريبا.. وانفاسها .. آه .. وابور الجاز خانقا .. خانقا ..

صفقت الباب ورائي بشدة .. وجريت كالمسعور الى «فرح» في طريقي ركلت أخاها الصغير .. ودخلت الدار ، وكانت وحدها .. ويبدو أن شكلي كان غريبا ، فقد شهقت حين راتني اتصبب عرقا .. تقدمت منها .. اعتصرتها في حضني ارتجفت .. نامت كأنثى . وعرفت ان نهديها غير ثدي امي تماما .. وان جسدها شاب .. واعدكم لن تفلت من يدي يوما واحدا .
انا القبيح اريد ان انزل النهر غدا .

● يوسف يتحدث عن اللعبة والوردة

كانت اللعبة فوق الدولاب الخشبي ، وعلى الحائط صورة كبيرة ملونة لوردة بيضاء ، وانا اجلس في صمت بجوار ابي الكفيف.

انا كما تعرفون لا العب « الكراتيه » واحب السينما واحب ابنة الجيران ، واخاف من يحيى .. لاتسخروا مني .. انا

اخافه واحبه .. ولااستطيع ان اسرق مثله ، ولا ان اهزم الصبيان .. ويقشعر بدني حين ارى البنات العرجاء .

انا اخافكم جميعا واحبكم واحلم كثيرا بابنة الجيران .. بحق هذا القمر الجميل اتمنى ان تكونوا طيبين ، ولا تؤذوا الحي ، ان ابي .. كفيف .. وعمره طويل وامي لاتحبه كثيرا .. وهو يحكي لي دائما عن ايام صباه ، ولعبه ،وقوته .. هل تدركون معنى الضعف والهزيمة بعد شباب قوي .. لااريد ان تعاكسوا ابنة الجيران .. انتم تعرفون انها في المدرسة الثانوية ، وربما أصبحت طبيبة تعالج الحي كله بلا نقود .

هل تحبون ان اكمل كلامي ؟

كنت اود ان احكي لكم عن اللعبة ـ التي كانت فوق الدولاب الخشبي ، العسكري فوق الحصان الابيض السيف مرفوع يعلو الراس ، العسكري له رأس يحي وشعره خشن .

لو ان يحيى ركب هذا الحصان لدار به في البلد ،يقفل الحوانيت ... ويقطع الكهرباء .. ويخطف البنات . بل ويقف بقدميه على ظهر الحصان ويمشي في الشوارع ضاحكا .

وانا لااستطيع ان افعل هذا يايحيى .. بل انك شجاع .. اليس كذلك ؟ .

وماذا لو ركبت انا الحصان .. ؟

أضع فوق ظهره بردعة حمراء وفي عنقه رشمة فضية ويكون الحصان بنيا لامعا ، اسير على مهل .. واتابع النهر ، والمراكب

المسافرات بعيدا ، والشمس الجميلة . واسير تحت النخيل العالي ..ويسير الحصان بدون ضجة ، وأريد من الله ان يعيد بصر ابي اليه حتى يراني .. وانا الذي رسبت في الابتدائية ثلاث مرات قد استطعت ان اركب الحصان البني ، ثم اربط الحصان في سور الجسر ، ويصهل قليلا في فرح .. ثم استلقي على الحشائش الخضراء ، استلقي واكون جذلا .

هذه الليلة ، وان اشكو لكم همومي . تعرفون انني منذ ايام اشتريت اصيصا لازرع فيه الورد ، غير اني لااعرف كيف يشترون الورد .. ؟ ولامن اين يشترونه .

ولكن هذه الوردة المعلقة على الحائط .. تشدني اليها ساعات طويلة ، باللسحر الجذاب الذي تنطق به . انني اريد ان اضع الوردة على الشباك وأقوم في الصباح الباكر واسقيها .. وارعاها .. واحبها ان الوردة تكبر .. وتكبر .. والعسكري والحصان ـ هذه اللعبة السخيفة ـ تتسخ . وتتسخ . نهضت من جوار ابي نهضت فزعا .. عصيا ، وكان ابي قد احس بالسخونة التي تغمرني . سأل :

ـ يوسف .. !

مددت يدي .. انزلت اللعبة من فوق الدولاب ..ثم ضربتها بالارض ، فانكسرت .. تناثرت ، رأس العسكري تدحرج حتى قدمي ابي . والحصان لم يعد له وجود ، ونهضت الوردة قوية .. بيضاء .. حمراء .. قوية تفتحت ، غمرتني برائحتها العطرية ..

غضب ابي .. ولاأعرف كيف سيفهم ان الوردة بيضاء جميلة .. ورائحتها جميلة ، وان هذه اللعبة متسخة وبالية .. ومرتع للذباب هل تسمعون الوردة ؟ انها قادمة مع النهر .. انها تنشد في فرح .. فرح بلا نهايـــة .

النهر : رائق .. وعيوننا الهبتها شمس الصيف ، النهر يمضي بطيئا حاملا على ظهر موجه وردة بيضاء .. شهق يوسف :

ـ الوردة .

الوردة لم تعد في الحلم ، ولا على حائط الحجرة في صورة هاهي قادمة كبيرة هاهي تتهادى .

هتف يوسف :

ـ أريد الوردة .

وكنا خمسة صبية على حافة النهر ، وليلة امس كنا في عم سراج ، وامس كف يحيى عن ضرب الاطفال ، وسهر يوسف خارج المنزل .

وفي هذه الظهيرة هبطنا من فوق الجسر .. وجلسنا على حافة النهر .. فالتعب قد هدنا . للنهر نسمة .. وللورد رائحة .

واصاب يوسف الجنون بالوردة .. وقرر يحيى ان يغتسل نظر يحيى الى بنطلونه الباهت ، ودعك قفاه بيده ،وقال :

ـ لابد للرجل ان يستحم حتى لاتتأفف المرأة من عرقه .

سكت .. ثم مال على قدمه .. وفك رباط حذائه الكاوتش المتاكل من الامام . نهض .. ضغط على شفته السفلي باســنانه الصفراء ، ثم سألنا :

ـ من يستطيع ان يسبح وياتي بالوردة ؟

النهر واسع .. والشمس قاسية ، ومانزلنا النهر في هذا العمق .

اردف يحيى :

انتاب بقية الصبية ، خوف ، هل يختار يحيى واحدا ليرميه في النهر ؟!

تراجع يوسف بخجل ـ ماتعلم يوسف السباحة بعد ـ ضحكنا جميعا .. ولم نشأ ان نسخر من خجله تقدم يحيى يسأل في زهو ؟

ـ من يستطيع ؟

تراجعنا قليلا .. وابتلت صدورنا وجباهنا بعرق غزير النهر عال ، ولانعرف عمقه نحن نستحم حيث يضيق النهر .. وفي الترع الزاحفة وسط الغيطان .خلع يحيى قميصه ورماه .. ذات قميصه البني .. رمشت عينا يوسف ، واحمرت وجنتاه ، خلى يحيى البنطلون ، وكانت عيناه تلتمعان في فرح ..علت زقزقة العصافير فوق الشجرة .. والعربات تمرق على الجسر بلا صوت . وكان يحيى يبتسم في خوف ، تجمعت البسمة في ركن شفتيه .. ثم خلع بقية ملابسه ، ضرب على صدره العاري بيديه هرش شعره الاكرث .

ـ سأذهب لـ (فرح) نظيفا .

وماهذه القوارب غير لعب صغيرة ... ومايحمل النهر الا ماء ثقيلا .

رجع يحيى للوراء .. تقدم وهو يجري .. النهر فتح له ذراعيه .. النهر واسع .قفز يحيى .. فرح الماء به وعمل ضجة شديدة

..رفع يحيى يده لنا .. وابتسم . تقدم يوسف من النهر ..كاد ينزلق .. رجع مشدوها . يحيى يندفع باتجاه الوردة ، يشق النهر بلا خوف . مد يده الى الوردة .. تراجعت الوردة .. ضرب الماء بقدميه ، خفقت قلوبنا .. الوردة كبيرة بيضاء .. والموج يجرفها .. ويجرف يحيى معه .. يحيى بعيد .. انظر للخلف لم نر عينيه بصق .. تمخط.. امسك الوردة .. ترك الوردة .. تمخط ثانيا ..لم يستطع ان يصلب نفسه .. اختفى من على السطح .. ظهر مرة اخرى .. رفع يده اليمنى .. آه .. يحيى سيغرق .. انه يستغيث لم نسمع صوته .. رفع يده في عصبية .. حاول السباحة .. انقلب على جنبه .. على ظهره .. اختفى ،

صرخ يوسف :

ـ يحيى

ظهر يحيى .. والشمس حارقة .. حارقة .. والماء ثقيل .

ـ يحيى .

لم يسمعه ... ولم يسمعنا .. ولم يرنا .

هاانت في منتصف النهر .. وها نحن على الشاطيء .. في انتظار الوردة . زعق يوسف فزعـا .. وانتفضت منه العروق .

ـ يحيى ...

صرخ يحيى سمعناه .. صرخ في خوف وفزع ورعب :

ـ آه ....

وكانت يده اليمنى مرفوعة عالية ، تشنجت أصابعه ، اختفت اليد المعروقة ، وعاد النهر اشد سكونا ورهبة ارتمى يوسف فوق ملابس يحيى وتشنج في البكاء .

عنبر الاموات

احمد صبري ابو الفتوح

مصر

« غريب الدياسطي اخذ البراءة . . . ! »

« قولي لي يا خضرة . . . هـل رأيت الحادث . . . ؟ »

« حرام ياختي . . . المهم انه اخذ البراءة » .

* * *

العنبر من حجر الدبس الابيض . . . استحال الى كومة مـن الالوان القاتمة . . . براز . . . مخاط . . . دخان لمبة جاز . . . ضربة فأس في حجر .

كل شيء قاتم . . . حتى الانفس قاتمة مكدودة . . . يهدها البرد والحر والحشرات . . . وقلة الحيلة .

السقف يرتفع قليلا من قامة الانسان . . . يعاني من الروائح الكريهة التي تخرج من بطون مريضة . .

العنبر ... له باب مهترىء تصدم حافته العلوية رؤوس الرجال والنساء فلا ينفجر منها الدم ... لم يعد يجري في الاجسام ذلك السائل اللزج الاحمر ... نفذ في العمل والبول والبراز .. وذلك البصاق البلغمي الرخو .

يأتون الى العنبر من كل فج ... لقاء بضعة مليمات قد لا يحصلون عليها يأتون من قراهم يصطحبون فؤوسهم وزوجاتهم العجفاوات ... وكسرات الخبز الجافة .. وجحافل البراغيث التي لا تكاد تجد قوتها في أبدانهم .

ينامون جميعا في العنبر ... يعانون المعاناة والكلل ... ينفذ البرد الى جنوبهم فتتضخم الامراض ... وتقذف اعضاؤهم اقراصا لزجة من الدم القاتم .

تسترهم خلقات مهترئة ... مرقعة كأنفاسهم المقطوعة ... تخرج الكلمات « يا رب يا معين » فما تتعدى أفواههم الخربة .. وتسيح كالاسفلت على وجوههم المغضونة المجدورة ... فتتصلب ملامحهم الساذجة ... وتعلق حشرجاتهم بالاحجار الخشنة القذرة.

في الليل ... يعتلون نساءهم فيعتليهم الهم ... ينهارون خائبين ... جائعين ... مكدودين ... حطاماً آدميا في عنبرهم السديمي .

وتنبت الشعيرات جافة ملتوية في وجوه النساء ... وحول الشفتين وتحت الابط واسفل البطن وأعلى الظهر ... تزحف حتى أظافر الارجل المشوهة كجدران العنبر .

تضمر صدورهن شيئا فشيئا ... يرتدين خلقات ازواجهن ... ويتساقط شعر رؤسهن مثقلا بالقمل ... وتنشرج اصواتهن مبحوحة فحيحية .

* * *

غريب الدياسطي آفة من آفات العنبر ... أتى من قلب الدلتا كميت يتنقل بين مقبرة واخرى .

فلاح ... يتدلى جلده فوق عظامه العريضة ... يحك بأظافره ذلك الجلد الذي ترهل كجلد جاموسة نافقة ... له طاقية من صوف الاغنام الخشن .. مخروقة ككل الفلاحين ... مثنية الحواف ... تلمع الاوساخ فيها .

يركب رجليه الروماتيزميتين ليؤدى واجب العزاء في الموتى ككل الفلاحين ... ينام وهو يسمع آيات الذكر فتصطدم عظمة فكه بصدره الاعجف ... تتغرز اسنانه في لسانه الخارج من فمه .

يصلي الفجر ... ويدعو ربه كل صباح بصلاح الحال ... يدفع المعونة الحربية ... يستمع الى نشرة الاخبار فيفرح للنصر .. ويغتم للهزيمة .

ينهق لسماع العالمة وهي تغني ... يسيل لعابه . وهي تتمايل كبرميل ضخم ... يشرب الشاي « زردة » .. ويدخن المعسل .. يدس له الاطفال احيانا تفل الشاي وبعر الحمير .. فيدخن ... تنفلق رأسه نصفين ... وعندما ينام يهز شخيره جدران اليقظة .

ينخلع قلبه من الوجل والرجاء وهو يجرح بيديه الخشنتين مقام

سيدي أبي طاقية ... وتذوب انفاسه لسماع اسماء البيت الطاهر ... فيعلو صدره وينهق .. «مدد» تغرورق عيناه .. فتراه ساذجا ... بسيطا عندما تشتد الفاقة .. يشعر بوخز الابر في قلبه الخالي من الدم ... الملىء بالسذاجة والايمان التاريخي .

تراه صامدا ... صابرا ... يذرف الدمعات القليلة عندما تحكم الفاقة حصارها فيتضخم قلبه ويشعر بهدوء وأمان عجيبين... ترتخي يداه ،ير فع عينيه الى السماء « لنا الآخرة » ... في الشجار يحمل فأسه ... يهشم به رأس الخصم ... ولا يشعر بسوء العاقبة الا عندما تقع الفأس في الرأس .

يساعد في حفر القبور وحمل الموتى وبناء البيوت ... في قرارة نفسه أمل لا يخبو بريقه .. انه يريد ان يعيش .

في الليل ... يهرب من زوجته لينام فوق سطح المسجد الحجري بحجة الهروب من البراغيث يحمل كسرات خبزه المختلط ببذور الباميا ء والحلبة ... يصحب زوجته الهيكلية ... يركب الجرار ... تمطر السماء مدراراً ... يصل الى العنبر ... يعمل طوال اليوم ... ويزدرد بصاقه الرخو فتمتلىء معدته ... يتجشأ العافية فيجري الفقر في شرايينه الجافة ... يرقد الى جوار زوجته بجانب الآخرين كمومياء فاقدة الحراك .

احيانا تصيبه الدوخة فيرى العنبر لا نهاية له ... سحيقا... غائرا في قلب الارض .

* * *

في ذلك اليوم كانت الفأس تشده الى الارض ... فيرى انفاسه تتعثر بين قلاقيل الطوب الخشنة ... يلهث .. يكاد يفقد جذوره بالارض والزمن ... وكل شيء .

عندما انتهى من عمله ... او انتهى عمله منه ... نفدت لقيماته كما نفدت عافيته ... نفد صبره ... تاه في الطرقات باحثا عما لا يجده ... خلت القرى الطينية المجاورة ... وخيام البدو المنفئة .

عندما داهمه الليل ... جر نفسه الى العنبر ... وجده هلامياً في قلب الليل ... ازدرد بعض لقيمات عثر عليها ... سرت فيه روح جديدة .. فأنتفضت عروقه الخاوية .

تصلبت يداه واحس بصدره يختنق ... نفذ البرد الى جلده فما أطفأ لهب تعطشه قرر ان يضاجع زوجته في تلك الليلة .

* * *

وجدها نائمة ... حركها بيديه ... اعتلاها ... لهث ... انقطعت انفاسه ... بردت ... تحشرجت ... تحطمت عظامه ... تحركت المرأة ... حاول مرة اخرى ... سقط فأصطدم بنائم الى جواره ... بحلق في الفراغ ... الصمت مخيم ... الانفاس مقطوعة ... الظلمة عميقة .. كأخدود سحيق ... جبل ضخم يجثم فوقه .

المرأة تزفر .. اعاد المحاولة ... الخيبة أتت اسرع من قبل... سقطت عبراته فغر فاه في الظلام ... فصار كعنبر عمال التراحيل ... مظلما .. خربا ... مشوهاً ... سمع شخير المرأة.

* * *

دائرة الضوء تبهر العيون فتصاب بالذعر ... تنتقل الدائرة بين واحد وآخر : ـ

ـ يا الله ... يا الله ... انت يا زفت يا عبدة ... يا حسين يا ابن الحمار ... تنابله ... أكل ونوم .

يصرخ صوت ريس الانفار... يشرح العنبر... ينتفضون.... يتكوم كل منهم الى جوار زوجته : ـ

ـ يخرب بيتك... مصيبة ... تنام بجوار زهرة يا غريب... يا ابن الكلب .

الصباح يعبق في صدور العمال .. يسعلون ... يحيطون غريبا الدياسطي وزهرة ... ينظر كل منهم الى زوجته ليتأكد انها بجواره ... أعتلت الدهشة وجوههم ... ضحكوا في يأس وغرابة.. زهرة ... عارية الساقين والبطن ... فقدت الحركة .. بحلقت بلا هدف ... يتكوم غريب .. تصطك ركبتاه الدبوسيتان .

ينفجرون في ضحك مربع ... تماما كأنشودة جنائزية تتقافز فوق الاحجار الخشنة .

عبده المر .. زوج زهرة .. يضرب رأسه في الجدار ويشرخ صوت ريس العمال فيعطى خلفية درامية للضحك الجنائزي : ـ

ـ لمي نفسك يا زهرة .

تصعق زهرة ... ويغيب غريب بعيدا عن الوجود .

ـ ياسعادة البيك ... اتوسل اليك .

ـ هل أصدرت صوتاً وانت تضاجعها ؟

ـ يا بيك ورب الخلق ... لم افعل شيئاً ..

ـ هل تمت المضاجعة .

ـ انا في عرضك يا فندي ... ظننتها زوجتي .

ـ هل ناديتها باسمها قبل المضاجعة ؟

ـ لو سمحت يا استاذ ... كلمة في اذنك ... ! !

ـ وما دليلك على ذلك ؟

ـ اسأل زوجتي ... اكشفوا على ... انا ... انا ليس في النســ ...

* * *

جمهرة عمال التراحيل تقف في الخارج ... كل منهم بدأ يراجع لياليه السابقة ... هل هم متأكدون تماما انهم بجوار زوجاتهم ... العقول المتعبة اجهضت محاولات التذكر ... خابوا في غيهم .

خرج غريب يشهق ... تلقفته الجموع .. احتضن زوجته .. تدثر بها ... نسى الجوع والظمأ والبرد ... شقت عبراته الملتهبة

فوق وجهها المعفر بالتراب خيوطا نظيفة مغسولة شاركه العمال الفرحة ... يرقصون رقصات بدائية متقافزة ... اما عبده المر ... فلا يعلم عنه احد شيئا الا الله ... ينبذون زهرة ... فتذهب بعيدا ... تعض اصابعها في وحشية تتكسر في مشيتها ... تخنق نفسها بيديها الخشنتين .

... عندما يفاجأون بالعنبر امامهم ... يسحب غريب زوجته ... يدور حول العنبر .. يدوران كمن فقدا عقليهما .. يدوران .

« ملحوظة »

دار الحديث يوما بين امرأتين : ـ

ـ قولي لي ياخضرة ... لو ولدت زهرت ولدا ... ماذا تسميه ... ؟

ـ لا ادري ... فليختر غريب له الاسم .

وبرزت طاقية ملتوية الحافة : ـ

ـ سنسميه عنبر ... عنبر .

ترميه المرأتان ببعض الحصيات وهما يبصقان في عبهما : ـ

ـ يا اختي ... دستور ... الشر بعيد .

الأعرج يتزوج

احمد بوزفور

المغرب

« العشب ينمو . العشب ينمو »
« انا أحني رأسي لك يا عشب »
شاعر الماني

مرزوقة شفتاها بليلتان :

مرزوقة ؟ .. هي . على ظهرها صرة تحملها تحت الازار ، وفي أذنيها تلمع الاقراط ، الشمس حامية والاقراط الكبيرة تعمي العيون، مرزوقة تقترب وانا اقترب ، أسلم عليها ؟ (أقبل يدها فتقبلني في جبيني اقبل خدها الاحمر كشمس العصر واقول لها : اجعليني ابنك واحمليني كالمزود فوق ظهرك)

مرزوقة اقتربت وانا لا اعرف ماذا افعل ، اهرب ؟ لماذا ؟ هل هي غولة ؟ ولكنها تقترب ، لو انها تبقى هكذا ... لا تصل ابدا ولا تغيب ابدا ،مرزوقة .. مرزوقة ... مرز ..

ـ ولد من انت يا حبيبي ؟

ـ ولد حمداش .

ـ آه ... ولد رحمة ، والله ما عرفتك ، امك لا بأس عليها ؟

ـ لا بأس

انحنت مرزوقة على وجهي ، وسوسة الاقراط .. السواك .. الصفصاف .. السنابل .. الضحك .. نبض اللحم

ـ سبحان الله .. حروفه على حروف امه ورفعت ذقني بسبابتها ، وقبلتني في فمي ، شفتاها رغم الظهيرة بليلتان ، وانا احببتها .

زمن الرجال :

« الحاج مهدي رجل ولا كالرجال ملك التراب وتزوج النساء وقتل الارواح ، وعرف من الحلو والمر ما لا يعرفه الناس اليوم .

في ايام «السيبة» قبل الاستعمار ، اطلق النار من «شرقيته» في كل القبائل المجاورة ، ووصل خبره الى المدن ، وحين غلب المستعمرون ، وجردوا الناس من اسلحتهم ، استعمل سكينة ، قتل مخزنيا من حرس الكابتن ، وغنم بندقيته ، وفر بها الى الجبال حيث اصبح «قائد مئة» في جيش عبد الكريم ، ذلك زمن يومه بعمر . شرب الشاي مع عبد الكريم نفسه وقتل من المستعمرين ضعف ما قتل من

المغاربة في ايام «السيبة» او يزيد . لم يكن يحسن التصويب ، ولكنه كان من الشجاعة بحيث لا يضرب الا عن قرب . وحين رأى الخيل والاحزمة الصفراء في ذلك اليوم العصيب لم يتراجع ربض بين صخرتين ولف بندقيته الساخنة بعمامته وظل يضرب حتى دخلت الرصاصة الملعونة في عموده الفقري . من يومها فقد المهدي طعم الحياة وتحكم المستعمرون في رقبته كما تحكموا في رقاب الاخرين عاش بتلك الرصاصة اربعين عاماً قبل ان يموت ولكنه كان قد فقد طعم الحياة احدودب ظهره واعتمد على العكاز وعلى ابنه «المختار» ، و «المختار لم يكن رجلا ، كان تاجرا . يتصرف بالفلوس لا بالرصاص، النار تلد الرماد ، قالها الاولون . جاء زمن التجارة والاسواق الامنة والكتان الملون ، فأنطفأت النار ولمع الرماد .

حج المهدي الى بيت الله مرتين ، ووضع في يد ابنه الارض والماشية ، وانزوى في غرفة صغيرة يأكل الكسرة و «يقرقب» السبحة، ويحكي ـ ان وجد السامع ـ عن زمن الرجال .

«المختار» لم يركب الخيل ، سار على قدميه وراء البغال المثقلة باحمال القماش المهرب، أكل مع المستعمر، زور عقود الارض، وسخر مع ضيوفه التجار من شيبة أبيه .

لعن الحاج المهدي الزمان واستبطا عزرائيل ، فقط حين سمع بأذنيه الثقيلتين لعلعة الرصاص ورأى اكتاف رجال جيش التحرير ، فقط حينئذ أفاق لنفسه وقرر ان .... يتزوج .

ولم يفطن «المختار» حتى وجد مرزوقة في الدار ، وعرف انها زوجة ابيه الجديدة ، فصفق كفا بكف «لا حول ولا قوة الا بالله ، الدنيا كلها اصبحت مجنونة هذه الايام» . ودخل مع ابيه في صراع مرير لم يطل ، فقد مات الحاج المهدي ، مات وسط ضجة الاحتفال بالاستقلال فلم يأبه احد بالهمسات الخافتة التي تسارت بها النساء عن سبب موته ، ولكنه لم يمت حتى ترك مرزوقة حاملا ، فولدت محمادي ، وغدت خادمة في بيت ربيبها «المختار» تشطب وتحطب وتجلب الماء وتنزوي في الليل الى غرفتها الصغيرة تأكل الكسرة وتحكي لابنها الصغير عن ابيه وعن زمن الرجال»

مرزوقة لا يحبها الرجال :

مرزوقة كانت في الاربعين ، وانا كنت طفلا في العاشرة ، وحين لهث الكلب قفزت خارجا من الدار فوجدتها تهدد الكلب الشرس بقصبة رقيقة .

ـ خالتي مرزوقة ؟

ـ لو لا القصبة في يدي لاكلني .. هو الذي يمنعني من زيارتكم ... ماذا تفعل امك ؟

كانت امي تصبن في مراح الدار المشمس عانقت مرزوقة ، وتبادلتا قبلا كثيرة على الخدين ، وجلست امي تتابع التصبين والى جانبها جلست مرزوقة . حملت انا الثياب المغسولة وخرجت لنشرها فوق السطح ، وحين عدت كانت مرزوقة تحكي عن محمادي :

– يريدونه راعيا يطلع طول النهار وراء غنمهم التي يحلبونها وحدهم . قلت لهم انتظروا حتى تموت مرزوقة اولا . ابوه قبل ان يموت اوصى بادخاله الى الجامع ، فلماذا يخرج منها ؟ طفل صغير يا اختي ويتيم ، وبرجل واحدة ، كيف يرعى الغنم ؟ .

قالت أمـــــي :

– محمادي يرعى الغنم ، وابنه هو يجلس في الدار ويأكـــل الزبدة .

– يا اختي ابنه بشاربه ولا تراه الشمس «عبد السلام زد هذا الكاس ... عبد السلام كل هذا الفخيذ ، عبد السلام نائم ... اسكتوا»

– آه يا سيدي ... ابى القايد هذا ..

– ولو لا عيني على محمادي في الليل والنهار لقتلوه قتلا

– يفعلونها واكثر منها ، الم يرموه بالسكين من سطح الدار حتى كسروا رجله .

قلت لمرزوقة : لماذا رموه يا اختي ؟

– لانه يتيم يا ولدي الله يخلي لك امك واباك . قل لي : هل يضرب الفقيه محمادي في الجامع ؟ .

قلت لها : انه يضربنا جميعا ، انا احب ان ارعى الغنم .

– لا .. لا يا ولدي . لا تقل هذا ، ضرب الفقيه ولا الشمس والشوك والجوع .. هاتي عنك يا اختي .. استريحي ودعينـــي

وضعت القطعة الكبيرة بين رجليها واخذت اكمل التصبين .

تضرب القميص المتسخ في الماء الدافىء حتى تصاعدت رغوة الصابون ، سروالها ازرق فيه ورود صغيرة حمراء وصفراء ، وفخذها رحب ، قامت امي لتقلي بيضتين ، وانا وضعت رأسي محرجا على فخذ مرزوقة الدافىء ، واغمضت عيني وتضاحكت مرزوقة :

ـ ايها الشيطان الصغير ، تريد ان تنام في النهار .

وهدهدت فخذها تحت رأسي :

«انعس آوليدي حتى يطيب عشانا»

« وان ما طاب عشانا يطيب عشا جيراننا »

صرخ ابي وهو يدخل : اين انت ؟ اجابت امي من داخل البيت: انا هنا .. ما لك ؟

قفزت انا واقفا وقامت مرزوقة لتسلم على ابي ولكنه زوى ما بين عينيه وحول وجهه نحو باب البيت المظلم ، وفيما هي تحاول تقبيل يده الهاربة كان هو يشخط في أمي :

« الصابون .. الصابون .. الصابون .. من اين آتي انا بالصابون ، لا تفعلون شيئا غير التصبين ، هل هل انا أذوب الفلوس»

لم يلق على مرزوقة نظرة واحدة .. دخل الى البيت مهمهما ، ومرزوقة انكمشت كالقطة في جلدها ، لماذا لا يحبها والدي ؟ مرزوقة لا يحبها الا النساء والاطفال أما الرجال الكبار فيزوون ما بين اعينهم ويتجاهلونها ، التقطت طوبة ورميت بها دجاجة قريبة فتصاعدت قاقاتها في السكون المشحون وهي تفر الى خارج الدار فتبعتها .

الاعرج يأكل السمن والبيض :

محمادي لم يحضر الى الجامع منذ ثلاثة ايام ، والفقيه سألنا عنه : اين الاعرج ؟ قلنا له : لا نعرف . كل الاطفال ينادونه : الاعرج، مثل الفقيه ، انا خفت ، وخجلت .. وقلت له مرة : محمادي ، ثم حفظتها وصرت اناديه دائما : محمادي . يطوح برجله اليسرى بعيدا قبل ان يطرحها في الطريق معتمدا على جانبها وهابطا نحوها بكتفه ، ثم يرفع رجله اليمنى ويعود جسمه الى الاستقامة . الاعرج .. الاعرج .. الاعرج .. وانا اقول له : محمادي انفه صغير ليس كأنف أمه ووجهه صغير ايضا كوجه الفأر ، وحين تقول له : الاعرج ، يقول لك : الاعور ، ولا يسكت لك . انا اخاف مثل هؤلاء الاولاد ، صغير كالحمصة وحاد كالشوكة ، أمه احسن منه . ولكنه لم يحضر منذ ثلاثة ايام والفقيه سأل : اين الاعرج ؟ قلنا له : لا نعرف .

في الظهر بعد ان خرجنا من الجامع ، لقيت «عبد السلام» بن المختار عائدا من السوق ، كان يركب بغلة ابيه ، ورأيت في الخرج بطيخة كبيرة سوداء ، سيعطيني الحلوى اذا طلبتها منه ، هل يحسب نفسه رجلا ؟ شاربه ظهر ، ولكنه طفل ايضا ولو كان كبيرا . سألته : اين محمادي ؟

ـ محمادي ؟ الاعرج ؟ هو في حضن امه ، يقول لها : انا مريض حتى تعطيه السمن والبيض .

ـ هل عندك حلوى ؟

الحلوى أأنت صغير حتى تطلب الحلوى ؟

وابتعدت البغلة به . كالمخزني الذي يأتي الى دار «الشيخ» . ينظر اليك من فوق ويقول لك : انا احسن منك ، واذا لم تصدق ضربتك . لو كان «عبد السلام» في الجامع لضربه الفقيه حتى يزرق جلده الاحمر ، حين اكبر ... اذن محمادي مريض ؟ .. الاعـــرج مرض ! الاعرج يأكل السمن والبيض .

برد الصباح :

في الصباح التالي .. حين كنت خارجا من الدار ، رأيت ابي يحمل الفأس ويسبقني ، وحين لحقته أمسك بيدي وسرنا معا ، الصباح بارد ، والضباب مخيم ، الضباب يتراجع صامتا أمامنا كلما تقدمنا ... قرب المقبرة وقفنا ، ورأيت رجالا يحفرون ، أقفل أبي صدفة قميصي العليا وقبلني :

ـ يا الله .. الى الجامع

قلت له : من مات يا ابي ؟

ـ الى الجامع .. قلت لك .

ـ قل لي أولا من مات ؟

نظر الي ، ثم قال بسرعة : ولد مرزوقة وانحرف نحو الرجال.

الفطيرة مالحـــــة :

«يا مختار مرزوقة امرأة ابيك .. لمن ترميها ؟» كل جمعة تحمل مرزوقة فطيرتها وتذهب الى القبر . في البداية كانت تنوح وتحثو التراب على رأسها وتنادي محمادي ، ثم اصبحت تجلس صامتة جامدة في ازارها الابيض كشاهدة القبر ، وحين يمر الناس في الطريق

القريب تناديهم «تعالوا كلوا من الصدقة» فيسرعون في خطوهم دون ان يردوا .

« يا المختار ، ابنها مات .. اصبر عليها قليلا » ولكن المختار صمم على طردها من الدار ، فهو يريد ان يزوج ابنه عبد السلام ، ويسكنه في غرفتها ، ثم ان مرزوقة لم تعد شيئا ، في النهار تدور في الحقول المحروثة ،وتجلس على احجار الحدود ، وفي الليل تأوي الى حجرتها الصغيرة بدار المختار ، وكل جمعة تحمل فطيرتها وتذهب الى القبر «تعالوا كلوا من الصدقة» .

وقلت لنفسي : لماذا اهرب منها ؟ هل هي غولة ؟ وعرجت نحو المقبرة ، اقتربت ببطء ، ولم ترني . كانت تلعب بالحصى على القبر ، قبر محمادي صغير جدا ومحصور بين حجرتين طويلتين كيف يتسع له ؟ حين سقط ظلي على القبر رفعت مرزوقة عينيها ورأتني .. ارتبكت ، ثم بحثت بعينيها عن الفطيرة ومدتها الي «تعال يا ابني كل من الصدقة» اردت ان اقول لها شبعان ، ولكنني ... لم اعرف ... لم اقدر . كسرت قطعة صغيرة من الفطيرة ومدتها : «كل هذه فقط» فأخذتها وجلست الى جانبها انظر الى القبر وامضغ اللقمة المالحة في صمت .. مدت اصبعها الى القبر «أرأيت ؟ الربيع نبت على قبره»

اجهشت بالبكاء «أأخفتك ؟ لاتبك .. انا لا اكل الاطفال ... تسمع يا محمادي ؟ الاطفال يبكون مني . امهاتهم تخوفهم بي ، لمن تركت أمك يا ناكر الجميل ؟ حتى انت تهرب مني وتتركني وحيدة . ارجع ياحبيبي او خذني معك ، محمادي .. أتسمعني ؟ محمادي .. قتلوك يا حبيبي .. قتلوك»

كانت تتكلم في خفوت ، واردت ان اقول لها : انا ابكي لا من

الخوف .. ولكني ... لم اعرف .. لم اقدر ، وحين نهضت لم تلتفت الي ،ومشيت في حذر دون ان تراني ، وحين ابتعدت قلت لنفسي : الموت كحرف الهاء ، وعبد السلام كالمخزني ، والفطيرة مالحة ومرزوقة ما عادت تحبني .

«يا المختار .. ابنها مات» ولكن المختار يرد على الناس :

ـ اعرج ومات .. هل مات النبي ؟ كان اخي انا ايضا ودفعت من جيبي نفقات الجنازة وصدقة السابع .. الموتى الله يرحمهم ، والاحياء بطونهم مفتوحة .

ـ يا المختار .. الناس ..

ـ على الاقل تشطب الدار ، تربط البقر .. تجلب الماء .. تحلل الخبز الذي تأكله .

ـ هل تريد ان يلعب الشياطين برأسها وتجرك الى المحاكم ؟

ـ انا ايضا شيطان ، والشرع هو الذي شيبني ، ليجربوني

ـ يا المختار .. السياسة خير من صداع الرأس

ـ وهل انا لا احب السياسة . انا سأزوج ابني والدار ضيقة .. لماذا لا يحوزها الذين يتكلمون ؟

الموت كحرف الهاء ، والفطيرة مالحة .. هممت بالبكاء ولكنني احسست بالجوع فعدوت نحو الدار .

الاعـــرج يتزوج :

لم اعرف ما حدث الا في الصباح ، لم انم تلك الليلة في دار العرس ، قالت لي أمي : «اذهب مع ابيك الى الدار الان ، وغدا حين تخرج من الجامع تعال هنا لتتغذى معي» . وعدت مع ابي ونمت .. ولم اعرف ما حدث الا في الصباح

من ساحة الدار رأيتهم ، وجريت حتى لحقت اخر الجماعة ، اكثر من عشرة رجال يتبعون «الشيخ» والدركيين ومرزوقة بالهمهمات : «ظهر عليها ذلك من يوم وفاة ابنها ... مسكينة الكبدة تحمق .. والاخرى ما ذنبها ؟ ... لا حول ولا ...» ومرزوقة كانت مقيدة اليدين بالحديد واحد الدركيين يمسكها من ذراعها ، لم اقدر على السؤال ، وحين بدأ فضولي يعذبني ، وكنا قد وصلنا المقبرة ، رأيت مرزوقة تفلت من الجماعة وتجري نحو قبر محمادي ، وقبل ان يفيق الرجال من الدهشة كانت مرزوقة قد استلت لا ادري كيف ولا من اين درة بيضاء ملطخة بالدم وطرحتها على القبر الصغير وهي تصرخ وتزغرد كالمجنونة :

ـ « هنيالك آ محمادي ....هنيالك آلعريس... يوويو... العروسة عزبة .. شوفوا الدم احمر في السروال .. هنيالك آلعريس ... يو يو يو يو ... »

جرى الرجال نحوها وامسكوها .. «فقدت عقلها .. حمقاء ... الله يحسن العون» وجرها الدركيان من جديد الى الطريق «حمقت .. حمقاء تماما» وقال احد الدركيين : «سنعرف هل هي حمقاء حقا او تمثل علينا» وكان الاطفال قد تجمعوا ، والنساء كن ينظرن من بعيد ويتهامسن وسمعت شابا يقول «حتى العريس لم يكن قد دخل» وسألت : ماذا فعلت مرزوقة ؟ ولم يرد احد .. ماذا فعلت مرزوقة ؟ .. رد احد الاطفال مدهوشا : ألم تعرف ؟ قتلت عروسة عبد السلام بالسكين .

ورقة من زمن التشنج

بلعيد ادريس

المغرب

دروب المدينة وأزقتها تحولت الى روافد تصب ، في الوسط كتلا بشرية مذعورة . كان الاعلان قد روع السكان . وحار المسؤولون في معرفة السبب . اُقيلَ مدير الاذاعة لانه لم يقدم الاعلان في حفلة مناسبة .. وصودرت الجرائد لانها لم تسهب في كشف الابعاد الانسانية للخبر .. وأجبر السكان على تطويل الطابور الذي يصب في وسط المدينة . والجزع احساس ملازم لكل الاهرام .

الاعلان كما وزعته وكالة الانباء :

« ان التوق للتقدم الحضاري ، يستلزم التضحية من أجل نصرة العلم . وتبنى المنتوجات التكنولوجية . لذلك ، قررت الزيادة في

كل الاسعار ، بنسبة الضعفين . حتى تتمكن البلاد من الحصول على آلة « كشف العين بأشعة سين » . وقد كان مقررا ، وضع المشروع للاستفتاء العام . كما جرت العادة . ولكن تخمين المسؤولين اكد عدم أهمية ذلك . لانه سيلقى القبول والترحيب ، كما جرت العادة . وعلى مستوى صلاحية الجهاز ، وحاجة البلاد اليه . فان آخر البحوث التربوية والمختصة بتلطيف السلوك . تؤكد ان العين اذا حدث ورأت منظرا ضارا بالصالح العام . فان التواجد المستمر يكون مهددا بالزعزعة ، لان هناك علاقة اعلامية بين العين واللسان .. الخ ..

هذا ونهيب بجميع المواطنين أن يلتحقوا بمركز الكشف للغرض أعلاه ، والا و .... والسلام »

العين الاولى :

« ساحة واسعة . يتحرك فيها أفراد كثيرون . ارتدوا ملابس زرقاء داكنة . كل منهم يقف أمام آلة حديدية . يرجع ذراعه ويبسطها تستمر الحركات ، ريثما يضمن تصبب العرق . يدب التعب الى أجسامهم يتجهون نحو وسط الساحة . يكدسون العرق المتصبب من جباههم في علب خصصت لذلك . يأتي شخص تتبعه حاشية . ينهر الاجساد المنهوكة . وببعض المعاملات يحول العرق الى ذهب يضيفه الى رصيده في مصرف أجنبي . »

العين الثانية :

« شخص يوصد الباب خلفه باحكام . يغرق في الكتب من الصباح حتى ساعة متأخرة من الليل تأتيه الخادمة بالقهوة التي

طلب . يأمرها بتمريرها تحت الباب . لايريد أن يرى أحدا حتى لا تشوه افكاره . تماما كالحامل التي تتجنب المناظر البشعة وقت الوحم . يريد افكارا نظيفة ، تضمن له سلما اداريا محترما .. ومن حروف الكتب تتبلور أجنحة تطير بصاحبها فوق الارض رغما عنه . فلا يرى الغبار والعرق ولا يلمس الايادي الخشبية و .. »

العين الثالثة :

« شاب يلهث . يجذب أمعاء السيارة السوداء . فتسود يداه بالشحم . وتتراكم على قلبه هموم الاكل والمبيت والملبس .. ينبطح تحت الهيكل الانيق . وتتبول عليه السيارة في غير استحياء . في نهاية الاسبوع . يضع أجرته في جيب صاحب البار ، مقابل ضحكات هستيرية . ويخرج قبل أن يصير موضوعا لتمارين الملاكمة ! »

كانت التعاليم واضحة : كل عين احتوت على ما من شأنه الاضرار بالصالح العام : تعاد عليها تجربة شمشون . فاقتلعت كل العيون : وعوض عنها بقصبات هشة لا تقود أبدا الى خارج ما يمليه الصالح العام . قال أحد المشمرين عن ساعد الجد : « من أتاكم بقصبة مكسورة . اكسروا عظامه . لماذا اخترع الكهرباء اذا لم يجنب الانسان شر أخيه الانسان ! » ولكن احد لم يصفق خوفا من سقوط قصبته . وتنفيذ القولة . هكذا كسرت ضلوع البعض ، وقبر البعض تاريخه تحت التراب وامتنع البعض الاخر عن استعمال الكهرباء في منزله لما يتضمن من شرور !

وبعد مدة أذاعت الاذاعة ما يلي :

« ان التقدم الحضاري يستوجب الاستقرار والرزانة في السلوك والعلاقات ... واذ نسجل بمداد الفخر والاعتزاز هدوء المواطنين وتعقلهم . نخبرهم اننا على طريق التقدم نسير . فبفضل جهاز « كشف العين بأشعة سين » كان اللقاء التاريخي بين التبصر والمواطنين . اذ تمت عملية تنقية العيون بنجاح . وما اقتلاع العيون الا رغبة في الوصول مع المبدأ حتى النهاية .. فهنيئا للمواطنين بهذه السعادة . ومزيدا من التعقل والهدوء . »

كانت المدينة تتخبط في ظلام دامس . اينما كان الاتجاه ، الا ويوجد من يستعطف القصبة لتوصله الى غايته . وحتى عندما تفصح القصبة عن افلاسها ، قل من يسمع ذلك . غير أن أحدهم لاحظ أن عيونا بدأت تنمو مكان العيون المقلوعة .

حين يكون الجنون يكون الدم

عبدالقادر عقيل

البحرين

دخل الاستاذ الصف . انقطعت اصوات التلاميذ تصفح دفتره الكبير . اتجه نحو السبورة . قرأ : « أنا ... » . استشاط غيظا . نظر اليهم . صرخ . « ـ من كتب هذا ؟ » .

« ـ اقول من كتب هذا ؟ سأحطم رؤوسكم » . صمت . أزداد غضبه . مزق الدفتر . حطم الكرسي . رفس الباب .

« ـ سئمت كل هذا ، لا أطيق اكثر من ذلك » حاول نزع السبورة عن الحائط . لم يستطع . حاول مرة أخرى . ضحكوا جميعا . التفت اليهم .

« أضحكوا على وجوهكم القبيحة . انظروا ما سأفعل الان » .

نزع قميصه . مزقه امام دهشتهم . جلس على الارض بالقرب . أخذ يتنفس بقوة . تشنج .

بكى بصوت متقطع .

في آخر الصف . أحد التلاميذ يضغط على بطنه . رفع ساقه قليلا . قال بهمس لزميله :

« ـ لم تنجح » .

سكت عن البكاء . زكمت انفه رائحه نتنة . قام واقفا . كانوا يسدون انوفهم بأيديهم .

« ـ اللعنة عليكم . افتحوا النوافذ » .

فتح الباب . تطلع الى فناء المدرسة . ضرب على صدره . قال لهم :

« ـ أنا غيفارا . هل سمعتم ، هل تعرفون من يكون غيفارا ؟ » .

قال احدهم دون ان يرفع أصبعه :

« ـ قائد الرومان » .

« لا تفهمون شيئا . سأعلمكم السياسة » .

صدرت اصوات غير موافقة . صرخ . سكت الجميع .

« ـ من منكم يميني ، ومن منكم يساري ؟ » .

الذين يكتبون باليد اليمنى رفعوا أيديهم أولا ، ثلاثة آخرون يكتبون باليد اليسرى رفعوا أيديهم بعد ذلك .

« ـ الواضح ان اليمين متغلب على اليسار » .

أسند رأسه الى الحائط .

« ـ رأتب ضعيف . سكن بالايجار . الايام تمضى ولم اتزوج بعد . كيف اتزوج ؟ » .

التفت اليهم .

« ـ هل عندكم اسلحة للدفاع عن انفسكم ؟ » .

رفعوا المساطر عاليا .

« ـ استعدوا اذن ، سنحرر العالم » .

خرج من الصف . الباقون ساروا وراءه . ضجيج . ضحك . أصوات مرتفعة .

« ـ يسقط الاستعمار » .

رددوا وراءه . بهلع ركض المدير نحو الهاتف .

« ـ أسرعوا ، أرسلوا لنا نجدة » .

طلاب آخرون خرجوا من صفوفهم . رددوا وراء الاستاذ :

« ـ يسقط الاستعمار » .

الحشد يزداد . الاصوات تزداد ارتفاعا . فرق كبيرة من الشرطة تحاصر المدرسة . الذين بالداخل استعدوا بالزجاجات الفارغة . الذين بالخارج استعدوا بالقنابل والرصاص .

مصرع مواطن يدعى الصابر مفتاح

محمد المسلاتي

ليبيا

.. انتبه ـ الصابر مفتاح ـ الى نداء الموظف ،

واستطاع ان يشق طريقه خلال الجموع المتزاحمة امام الشباك .. استعد بكل حواسه عندما سأله الموظف ..

ـ .. أأنت الصابر مفتاح ؟

ازدرد ريقه بلهفة ..

ـ .. نعم . نعم . أنا هو ..

فدفع اليه الموظف برزمة أوراق قائلا ..

ـ .. أوراقك هذه ناقصة ، حاول اكمالها .. راجعنا غدا .. ستجد المطلوب على ظهر الورقة .. هيا اترك المكان لغيرك ..

هم ـ الصابر مفتاح ـ بان يسأل الموظف ـ لكنه لم يعطه الفرصة ، وشرع ينادي على الاسم الذي بعده .. مد يده المرتعشة .. قبض على الاوراق بعصبية ، وأحس بألم يضغط على قلبه ، ويفجره من الداخل .. تحدث هاتف في أعماقه ..

ـ .. ليس امامك سوى الانتظار .. أجل الانتظار الطويل، فالمحل لن تحصل عليه .. تذهب من هنا .. ثم تعود من جديد .. ستة اشهر مضت دون جدوى .. نصف عام وانت تطرق ابواب الادارات الحكومية دون فائدة .. كأنك متسول سيء الحظ .. هذا الموظف لا يعلم بمشكلتك ياصابر انه يتقاضى مرتبه وكفى ... أيام طويلة عبرت من حياتك منذ أن هد محلك الذي تفتات منه انت والاولاد . حتى الدنانير التي وفرتها ايام رواج الخدمة نفدت .بعت اقراط زوجتك .. الافواه المفتوحة تريد ان تلتهم اللقمة .. البطون الجائعة تحتاج الى الطعام .. وهذا الموظف ، هذا الذي لا يعرف عنك شيئا لا يملك الا ان يقول باللامبالاة . ـ عد غدا ـ .. اخنقه ـ ياصابر ـ أقتله .. ماذا تنتظر ، هيا تقدم ـ ليس هناك ما تخشاه ، لا .. لا تتسرع يارجل .. ما ذنبه هو ؟ انه ينفذ الاوامر فقط .. أتريد منه ان يسلمك محلا بسهولة .. لا تكن عجولا .. اسمع .. خذ اوراقك وعد الى البيت الان ، انت في عنقك أسرة . لا تندفع نحو اية حماقة .. اجمع اوراقك ، وحاول ان تجيئه بما ينقص غدا .. ما الفرق بين يوم واخر ؟ . او اقول لك ـ لماذا لا تتبع وسيلة ناجحة ـ ابحث

عن قريب او صديق له علاقة بمن يوزع المحلات الجديدة . عندها ستحل مشكلتك . لا .. انت لا تحب الوساطة .. اهدأ .. اذا كنت تعرف بعض الاصدقاء الجأ اليهم .. لا تخدع نفسك يا صابر، لا تحبها او لأنك لا تخرف الحياة صدقات ، ومعارف اليوم . سمها صداقة ... معرفة .. اي اسم . كن مثل الاخرين .. لا احد مقطوع من شجرة .. انت رأيت الكثيرين ممن عمدوا الى الوساطة ... ذلك الرجل البدين ، .. انك رأيته هنا بالأمس.. كان يزاحم الاخرين .. وعندما اقترب منه ـ همس للموظف ـ وغادر المكان ـ ... لا شك انه حصل على محل .. لقد كان يبتسم انذاك .. انت تعرف انه جاء بعدك .. لكن الحياة حظوظ ووساطات ...

فطن ـ الصابر مفتاح ـ الى نفسه عندما دفع به احد الموجودين خارج الصف قائلا ...

ـ .. دعنا نمر يا أخ ..

جر قدميه على الارض بصعوبة . كان يائسا . واتجه نحو الشارع الرئيسي . ويده تضغط على رزمة الاوراق ... اصداء كثيرة ترتد حوله ...

ـ .. يا للأيام .. ستة اشهر مرت منذ ان وفد اليك مبعوث الحكومة ..

ـ .. الصابر مفتاح ، اليس كذلك ؟ ..

قلت له ساعتها ..

ـ .. أجـل ...

ـ .. صاحب محل تصليح دراجات .. ؟ ..

ـ .. نعم انا هو ـ ..

ومد اليك بورقة قائلا ..

ـ .. هذه لك ..

ـ .. ماذا ؟ .

ـ .. انه امر باخلاء المحل الذي تقيم فيه الان في مدة لا تتجاوز شهرا واحدا من تأريخه .

ـ .. ولماذا ؟ .

حدق الرجل في عينيك وقال بسرعة ...

ـ .. محلك هذا واقع ضمن تخطيط المدينة الجديدة .. يقولون انهم سيشيدون عمارتين ـ وبعض المحلات الجديدة ـ سمعت ايضا انهم يزمعون انشاء حديقة ، وملعب للأطفال .

وتساءلت بحسرة ...

ـ .. اي أطفال ؟ ..

فرد عليك ...

ـ .. اطفالكم جميعا .. يقولون ايضا انهم سيتركون لكـم مساحة لأستخدامها كموقف عام لسياراتكم ..

أردت ان تقول له ،،

ـ انك لا تملك سيارة .. لكنه تركك وذهب الى محل اخر ..

غابت الاصداء ـ تلاشت ، شعر الصابر مفتاح بانه يتلاشى وسط شوارع المدينة .. احس كأن الشوارع تلتهمه .. عشرات السيارات تمزقه . مرارة الدم في حلقه ...

ـ .. انك تموت بالحياة ياصابر ..

لم تستلم محلا بديلا كما وعدوك .. وتهدم محلك ، وانت ما تزال تتردد على مكاتب الادارة .. اين تتجه الان ؟ . قدماك تقودانك الى شارعك القديم .. كل يوم تفعل ذلك .. اي جنون هذا .. ها أنت وصلت .. انظر كم تغير شارعك القديم . أراهنك لولا مجيئك اليه كل يوم لما عرفته .. هذا موقع محلك ، وهذا مكان محل جارك « اسماعيل الحداد » وهناك محل الحاج ابراهيم .. امعن النظر نحو الاسفلت انه يعكس اشعة الشمس .. انك لا تصدق انه كان لك محل متواضع هنا .. تعال .. تقدم خطوة .. خطوتين .. أتعرف ماذا يعملون .. انهم يفتتحون محلات جديدة ، واجهات زجاجية ، الوان زاهية .. محلات عطور .. امامها حديقة .. تخيل لو انك دعوت الى تجمع الناس هنا ، وقلت لهم انك كنت تملك محلا هنا .. لا شك بانهم سيسخرون منك .. لا احد يصدقك . دع هذه الفكرة جانبا.. كيف تقول لهم ان مواطنا يدعى ـ الصابر مفتاح ـ كان هنا .. وكان له محل تصليح دراجات .. قل لهم ايضا ان السترة التي على كتفيك الان هي التي كانت عليهما يوم غادرت هذا المكان .. يارجل .. ابحث عن طريقة تستوفي بها اوراقك الرسمية .. تحرك لن يفيدك

الوقوف هنا .. الاولاد يريدون مصاريفهم اليومية .. الافـــواه المفتوحة تريد اللقمة .. والبطالة طالت بك .. والحديقة التي تراها ستزهر قريبا .. والجوع كافر .. وأنت ما تزال ترتدي سترتك القديمة ، وتبحث عن محل .. تحرك ، هيا .. لكن ، نظرة واحـدة يا صابر .. هذا المكان عزيز عليك .. اقترب من مكان محلك .. ماذا سيفتحون بدلا منه ؟ اقترب اكثر .. هه .. احد محلات بيـع العطور ـ ومحل جارك « محمود » ماذا جعلوه .. لقد انقلب الـى حلواني السعادة .. لقد صنعوا له واجهات زجاجية ملونـــه .. اضحك .. اضحك ..

.. لا يعرف كيف وصل ـ الصابر مفتاح ـ الى البيت .. خلع سترته المبلله بالعرق .. اقتعد مكانا منزويا في ركن الحجرة .. سألته زوجته بعد ان طا ل صمته ...

ـ .. ماذا حدث اليوم ؟ ..

ظل صامتا .. تابعت

ـ .. فعلوا معك نفس الشيء . وقالوا لك تعال غدا ..

تمتم ـ الصابر ـ

ـ .. أجل . كالعادة ....

الصبر ... الصبر ...

ـ .. الصبر ، والمحل تهدم ، الصبر ، والاطفال جوعى . الصبر وسنموت افلاسا .

ـ .. اذن ماذا ستفعل ؟ ..

ـ .. اجل ، ما بامكاني ان افعله ـ لا شيء .. محلي سيكون لبيع العطور ـ والدراجات يأكلها الصدأ . وجاري الحداد ـ سيكون حلواني السعادة . وكل شيء على ما يرام ..

بدأ يضحك .. ويضحك .. حتى راود زوجته الشك في انه جن ـ ثم سكت فجأة ، وحملق بعينيه بعيدا ، على تلألأت في حدقتيه أطياف دموع .. بدت مثل قطع زجاج صغيرة تعكس الاضواء .. تركته زوجته وحده .. اقبل نحوه احد الاولاد . تعلق بعنقه مغتبطا .. وقال بسذاجة ..

ـ .. اريد ربع دينار ....

ـ : . . . . . .

ـ .. مدرس الفصل قال علينا ان نزين المدرسة .

سنساهم في انشاء حديقة داخل فناء المدرسة ..

قفز ـ الصابر ـ مرتاعا ـ خاف الطفل ـ وقبل ان يبتعد كانت يد والده . تلتصق بخده .. ابتعد الطفل وانكمش في ركن الحجرة الاخر .. دفن الصابر ـ رأسه بين يديه ..

ـ .. ماذنبه حتى تقسو عليه .. لقد طلبوا منه ـ ماذا بوسعه ان يفعل ؟ ..

استمر ـ الصابر ـ جامدا في مكانه .. عبرت رأسه صور كثيرة .. تشابكت في رأسه لحظات ولحظات ... تبين صور لبقع سوداء ـ كانت قاتمة ـ بدات نقاط صغيرة ـ اخذت تكبر امامه ـ اقتربت منه ـ خاف ... تكاملت من حوله . شعر بنفسه صغيرا

وسط هذه النقاط .. لم تعد نقاطا . صارت دوائر .. وهو يجلس داخل محله .. رأى الاف الاشجار تنمو حوله فجأة ـ انهار المحل . الفى نفسه وسط الاشجار دون جدران . ارتبك . كانت الاشجار تزداد في التكاثر والنمو .. ثم تبعتها الاف الازهار . انتشرت في كل مكان لمح وسط الاشجار عملاقا ضخما ينظر نحو نقطة ما ، وعلى شفتيه ابتسامة انتصار . التفت ـ الصابر ـ ناحية اتجاه بصر العملاق ، شاهد اولاده يركضون عبر الاشجار . الاشجار تكبر .. تساقط الاولاد . تملكه الخوف .. رأى الاولاد يتلاشون بصورة سريعة ، وما لبثوا أن تحولوا الى هياكل عظيمة صغيرة .. مكثت على الارض لحظة ثم ذابت بين الاشجار .. خيل اليه ان الاشجار تضحك .. حاول ان يذهب الى المكان الذي اختفت فيه هياكل اولاده .. عجز .. صاح بحثا عنهم بين الاشجار الكثيفة .. سمع العملاق يقول له ..

ـ .. ماذا تفعل ، يا صابر ؟ ..

ورد بحنق ...

ـ .. اولادي اختفوا هنا ـ التهمتهم الاشجار .. زمجر العملاق ضاحكا ...

ـ .. لا شك انك فقدت عقلك .. الاشجار لا تلتهم الناس ... طفق الصابر ـ يصيح ..

ـ .. لم اجن .. انا رأيتهم يختفون بين الازهار والاشجار .. لقد كانوا هياكل عظمية ..

واستيقظ من هواجسه على نداء زوجته ...

ـ .. قم للغذاء ـ هيا يا صابر ...

.. في تلك الليلة لم يتمكن ـ الصابر مفتاح ـ من النوم مبكرا كعادته .. نام كل من في البيت الا هو .. ظل يتمايل قلقا على فراشه .. كانت اعماقه مضطربة ..

ـ .. لماذا لم توافقهم عندما عرضوا عليك ان تعمل باحدى الورش الحكومية .. لكن كيف ـ بعد هذه السنوات التي امضيتها في حرفتي .. لقد وعدوك بتسليمك محلا جديدا .. لكنهم لم يفعلوا .. لو انك .. رضيت بأن تشتغل معهم ـ كيف ستبدأ ..؟ وكيف ستنتهي .. ستحال بعد سنتين على التقاعد .. وستتردد على مكاتب المعاشات . مقابل ثلاثين دينارا .. والافواه ستظل جائعة .. والاسعار ترتفع .. والطماطم يختفي من الاسواق .. والشيخوخة ملعونة ...

اختلطت في رأسه الاشياء . شعر بانه متعب. وبأن رأسه مثقل .. تثاءب .. واغمض عينيه .. في المنام حلم بأنه شاخ .. كان كل ما فيه يرتعش .. رأى نفسه يقف مع جموع غفيرة امام شباك المعاشات .

قال لنفسه ..

ـ .. انتظر قليلا .. سينادون عليك ـ الصابر مفتاح ـ عندما ستهب واقفا رغم سنك .. ستدفع الناس من امامك .. وستقدم بطاقة الاشتراك الى الموظف ـ وعندها ستقبض ثلاثين دينارا ... نعمة ، احمد ربك يا رجل .. لا تكن طماعا .. انها افضل من التسول .. لكني امضيت خمسين سنة من العمل المتواصل .. ودفع الضرائب .. ونهايتها هذا المبلغ .. انه ثمن بخس ، لعن الله الشيخوخة ، ولعن الله الحاجة .. ولعن الكلاب التي تنهش لحم العباد .. لو انك فكرت قليلا

ـ ياصابر ـ لعرفت الان كيف تعيش في نعمة .. جارك «سالم» انه صاحب عمارات الان .. ومحلات تجارية لانه عرف كيف يتصرف .. لكن انت كما انت، ما شانك بالناس .. واخذت الصور تختفي من امامه رويدا .. رويدا ..

.. في صباح اليوم التالي استطاع ـ الصابر مفتاح ـ ان يحصل على الاوراق الناقصة .. ضمها الى بقية الاوراق ، واتجه الى الادارة ..

ـ .. الاوراق كلها جاهزة .. لن يقول لي عد غدا .. دخل مع المتواجدين .. انتظر دوره .. سمع نداء الموظف ..

ـ .. المواطن ـ الصابر مفتاح ـ ...

ازدرد ريقة ..

ـ .. نعم انا هو ..

ـ .. لم تجهز المحلات بعد .. راجعنا بعد اسبوع ... غابت المرئيات امام عيني الصابر مفتاح .. اشجار كثيفة تحجب عنه الرؤية .. اندفعت الى عنق الموظف .. جذبته ايادي الناس .. شعر بأنه يرغب في فعل شيء ما .. الألم يعصر قلبه ـ أستشعر مرارة الدم ..

دارت الارض .. بدأ يهوي .. عيناه شاخصتان نحو الموظف .. سمعه يقول ..

ـ .. لقد سقط وحده ... لم افعل له شيئا .. كان يريد ان يخنقني ..

.. تمدد ـ الصابر مفتاح على الارض .. ولفظ انفاسه ..

التصاعدية

نصر محمد راغب

فلسطين

مثل نقطة ماء منسابة على جدار بلوري كان يحس هبـوط المصعد .

الطابق الرابـع

تعال يا محمود اسرع فلدي حكاية غريبة (اسمع .. عندما زرت اليوم دكان ابي الواقع بين الشارع الشرقي والغربي اكتشفت مسألة مسلية ومدهشة فقد لاحظت ان هناك في العمارة المحاذية لدكان ابي ارجوحة ترتفع الى الاعلى بسرعة تفوق بكثير سرعة ارجوحة الحبال وعرفت من ابي ان هذه الارجوحة هي مصعد العمارة ... بقيـت انتظر الى ان خلت الارجوحة من الناس وعندما حاولت ركوبها لـم تتحرك ..

ـ ابي كيف تتحرك ارجوحة العمارة ؟

ـ هناك ازرار عديدة يا ولدي مثبتة على احد جدرانها وعندما يضغطون على هذه الازرار يتحرك المصعد الكهربائي ..

ـ أذن فالارجوحة كهربائية مثل مصباح بيتنا الكهربائي .

ـ نعم يا ولدي فالكهرباء هذا العصر صار يدخل البيوت والعمارات من ابوابها ونوافذها بدون أذن . وهكذا يا محمود بدأت اضغط الازرار فترتفع الارجوحة وتنخفض . ولكن مجيء الناس كان يقطع علي لعبتي هذه ومع ذلك فهناك الكثير من الفترات التي يخلو فيها المصعد ... محمود هل تأتي اليوم معي ؟

الطابق الثالث

ياولدي انصحك الا تبتعد كثيرا عن الدكان .. لا تذهب من هذه الجهة ولا من تلك ابق في المكان الذي يقع فيه دكاننا فهذا المكان الوحيد الذي يحتاجك وتحتاجه .. انا اعرف ان المصعد مسل لانه يقذفك الى الاعلى بسرعة ولكن لا تنس انه لا يلبث ان يطوح بك الى الاسفل فلماذا هذا التعب يا ولدي وتذكر ان المصعد قد يعودك النظر الى الارض من الاعلى وهذا سيضر بك كثيرا وربما يجعلك لا تعرف سوى الوقوف في المصاعد المتحركة وينسيك المشي وزيارة الارض .

الطابق الثاني

لاول مرة ركب الطائرة وكانت حركتها وهي تهبط به في ارض غريبة تشبه حركة هبوط المصعد وتشبه انسياب الماء على الجدار البلوري وفكر أي مكان بعيد قذفه اليه المصعد الطائرة . خاف الا يستطيع النظر الى هذه الارض الا من الاعلى وخاف الا يعرف المشي عليها وان يموت شو قالزيارة لها في قلبه .

الطابق الاول

يسير في الشارع هذه الرؤوس ليس فيها ذكرى لسلمى ولا لليلى ولا للاميرة التي تقف خلف حرير النافذة العالية ويفكر فيها الاصدقاء محمود وصابر وغسان ... الشارع اغنيات لمارينا وكيزيلا وأرينا صارت هذه الاسماء تدق حدود ليلى وسلمى وتتسلق خيوط سلم الحلم الفضي الى نافذة الاميرة يفكر .. هذا الرأس العربي المغسول بفضاء الصحراء جاء مطاوعا لتطرقه اصابع العذاب فألتوت الايام فيه وضاقت بالاوقات الغريبة ... تسلقت جدران التاريخ حروف كادت ان تقطع الحبل الواصل بين ليلة العربي البعيد وبين يديه ارتعشت كل ذرة في كيانه اراد ان يتأكد انه هو نفسه . صاح بعناد :

عفت الديار محلها فمقامها

بمنى تأبد غورها فرجامها

هذه الكلمات الان اقرب اليه من حروف اسمه .. لتتكأكأ اسماء الاصدقاء وحروف قرى ومدن الغساسنة والمناذرة ولتحمني من رطانة عصر يقربني من مرتبة الصقر المتجمد ...

ـ مثل بدوي دخل مدينة تفكر

ـ أخاف على نفسي

ـ ستتعود وستصير مثل اي واحد ترتاد الحياة بسهولة وبدون هذه العذابات .

ـ هل حقا سيكون هذا .

ـ سيكون ... عندما تتخلص من أوهامك

ـ لكنها سنين طويلة حكايا وحب ، سهر ودماء واصدقاء ..

ـ سنضحك سوية بعد فترة قد لا تكون طويلة

ـ بعد ان تغيب أيام ضروس ومداولات أهل الصفا وشهادات الحلاج وخطب ابن زياد وخيام كنفاني ومواويل الجولان وسينا ؟

ـ انصحك الا تشرب اكثر وان تغادر المكان .

ـ وانت ... هل غادرت المكان من قبل .

ـ مرات عديدة .

ـ والان ؟

ـ ليس بي حاجة لمغادرته .

ـ الا تظن انك غادرت نفسك فسكت

الطابق الارضي

توضحت النقطة البعيدة واتسعت .. واهدتني الكتاب الذي يحور العبارة المنتظرة . وشوشت لي حروف العبارة بسر اعلمتني فيه ان الارض مثل الام . لا يمكن ان تتكرر في العمر اكثر من مرة . وان أمرأة وامرأة وامرأة يمكن ان تصطفيني وتعشقني وتتخذني خليلا وحبيبا وزوجا . ولكن امرأة واحدة يمكنها ان تكون لي أما كذلك الارض . فأينما أحل واينما أرحل فلن تتعرف على قدمي أرض غير الارض التي كانت البداية .

المـــــطر

عدنان علي خالد

الاردن

عندما انحدر الراعي الى سفح الجبل ـ كان القطيع المكون من الخراف والنعاج وبعض كلاب الحراسة ينتشر على شكل غير متساو .. البعض في السفح حيث يتهادى الراعي بخيلاء .. والبعض الاخر في بطن الوادي .. وقلة فضلت البقاء في القمة . الخراف كانت ضامرة البطون .. هزيلة الاجساد قليلة الوبر .. تبحث بوهن عن الحشائش الجافة فتلتهمها . اما الكلاب فكانت تنبح كعادتها وهي تدور من حول القطيع .. وتقعي بين اونة واخرى .. وراح الراعي يتلفت نحو السماء الملبدة بالغيوم يستمر في تجميع الاغنام المبعثرة هنا وهناك ..

لم تكن السماء قد جادت منذ فترة طويلة بالمطر .. بدأ الراعي وكانه قانط من نزول الغيث لفترة اخرى قد تطول .. وكأنما يفترض أيام جدب مرة قاسية ..

اصبح الراعي الان في ادنى السفح تماما .. حينما شعر بقطرات قليلة من المطر تتساقط على جبهته تلا ذلك رذاذ مصحوب بتيار هوائي بارد .. ما لبث حتى اصبح مطرا حقيقيا كثيفا . السماء تتجهم تتشح بضباب رمادي داكن .. ينهمر المطر بشكل غزير .. الراعي يعثر على مغارة في الجوار .. يلتجىء اليها بسرعة .. الكلاب تسارع بالاقعاء على بابها مجسدة معاني الوفاء والاخلاص. الخراف .. والنعاج تتقارب في اوضاع مؤثرة تدل على الخوف والالم الشديدين .. البرد والجوع يشلان حركتها تماما . السماء تنذر بعاصفة رعناء كاسحة .. لعل الراعي استنتجها من خلال تجاربه الكثيرة لذلك فقد اوقد نارا .. وسرى الدفء الى قلبه .. كذلك فقد هدأت كلابه .. فيما ظلت الاغنام في الخارج ترتعد من شدة البرد .. وهطول المطر .. في حين اخذت سيول الماء تتدفق من أعلى الجبل حتى ادنى السفح بغزارة .. لتجري في قلب الوادي بشكل متمرد .

في هذا الوقت بالذات كانت تقوم مسابقة فريدة من نوعها في المدينة المدللة .. وذلك على ستاد ضخم مسقوف . كان المتسابقون معصوبي الاعين ـ ومقيدي الارجل .. يقفزون قفزا .. وذلك على رقعة من الارض فضاء .

انطلقوا في سباق كوميدي مثير للشفقة .. وكان المطر يصفع وجوههم ويبلل ثيابهم الرثة .. فيما كان النظارة يشجعونهم بصراخ وحشي ـ للاستمرار في اللعب والاندفاع اكثر فاكثر الى الامام . اذ تراهنوا بمبالغ ضخمة على الفائز الاول .. لذلك كانت الرغبة جامحة لديهم في ثبات اللاعبين على ارض الملعب ووصول المتسابق الاول الى الهدف النهائي .. ظل المتسابقون يترنحون بشكل محزن بينما كانت صيحات المشاهدين تتعالى من كل جنبات المدرج المسقوف .. تخترق الفضاء .. معربة عن اغتباطها للمشهد المثير الماثل امامها .

* باتت امرأة هزيلة الجسد .. وهي تهدىء من خاطر اولادها الخمسة .. المتحلقين حول الموقد امامها . افهمتهم ان القدر الرابض فوق الموقد .. لا يحوي بعض المرق الخالي من اللحم . اصّر الصغار على تناول اللحم على غرار الناس المجاورين .. الذين يتناولون اللحم يوميا . صمتت الام الحزينة وقد طأطأت رأسها بمذلة .. كانت الام فقيرة جدا .. والوسائل لديها محدودة .. لكن الاولاد لم يدركوا هذه الحقيقة جيدا .. آلمهم ان لا يتذوقوا اللحم طيلة فترة من الزمن .. بكوا بحرقة . دعاء الام لم يأت بنتيجة .. ظل القدر القائم على ثلاث من الاثافي .. يعاني من قلة المواد الغذائية طيلة فصل كامل من فصول السنة .. بينما الشتاء في الخارج يزداد وقعه على نفوس الاسرة الصغيرة . الاجساد الرقيقة ظلت ترتعد خلف الخرق الممزقة .

* انزل رجل اسمر البشرة ومشعث الشعر .. عن كاهله حقيبة قديمة ومغبرة . جلس على رصيف الشارع .. لا مباليا .. حدق في المارة شزرا . كان كل شيء يبدو غريبا على ناظريه . وكان هو نفسه مثار اهتمام المارة بشكله الغريب وجلوسه على الرصيف .

نفض عنه الغبار والقى برأسه المتعبة على كفه اليمنى .. موليا ظهره الى حائط اسمنتي .. عبثا كان يركز تفكيره في نقطة ثابتة .. كان قد امضى ليلتين متعبتين في السير الجاد المتواصل .. حاول ان يكون طبيعيا امام الناس ـ دون جدوى .. رعدة كانت تهز جسده الواهن بعنف . حدق في السماء بريبة . كانت نسمة خريفية تلسعه حتى العظام . لف جسده الناحل بسترة رثة .. ومضى يتفحص المارة بنظرات نافذة . كان الناس يتزاحمون في المدينة الكبيرة المنعمة .. يتضاحكون ويتمازحون .. يتبادلون الاحاديث جذلين .. وكان شكله المنفر يثير الفضول ويدعو للتساؤل .. ولا يترك شكا في انه غريب عن المدينة .

راح الراعي يلتهم شيئا شهيا قرب ناره المتأججة .. وقد اتى على جميع ما في اضرعة الاغنام من در .... تلمظت كلابه بدلال وقد هزت أذيالها مسرورة .. كانت وجبته الشهية دسمة للغاية .. رمى بالعظام المكسوة ببعض اللحم الى الكلاب المنتشية ـ الرابضة على باب المغارة .. وراح يصطلي .. وقد تدثر بعباءة ثقيلة . كان المطر في الخارج ما يزال ينهمر شديدا .. ويتحول الى برد ثقيل .. يتراكم على باب المغارة ترتعش الاغنام تحت وقعه القاسي . يهزها

الزمهرير . تعوي من حولها الذئاب .. وتجد الفرصة مهيأة للانقضاض عليها واصطياد بعضها فريسة سهلة . الاغنام لا تقوى على المقاومة والهرب الامر الذي جعلها لقمة سائغة في متناول الذئاب النهمة الجائعة .

يستمر العرض المثير ... للمتسابقين .. المتصببين ماءاً .. والمجهدين الى درجة الموت .. يثار جدل عنيف بين النظارة حول احد الارقام ـ والذي بدأ وكأنه يتقدم فريق المتسابقين . الا انه توقف دون ما سبب واضح ـ كان قد تضاعف الرهان عليه اخيرا .. لكنه على ما يبدو ـ خيب امال الجميع الان . الطريق تحت اقدام المتسابقين لم تعد صالحة كما ينبغي .. تحولت الى مستنقع موحل .. لكنما الاصوات المرتفعة من جانب النظارة كانت لا تني تحث المتسابقين على الجلد .. وقطع ما تبقى من مسافة .

* لم تكترث الام لنحيب اولادها الخمسة . نظرت اليهم بحنق .. وعقبت بكلمات تحمل كثيرا من اللوم والتأنيب، تعبيرات اخرى مختلفة توارت خلف سحنتها الجافة .. وللحال اخرجت ما في داخل القدر .. وكومته امامهم بانفعال .. صاح احد الاولاد يائسا : هي نفس العظام التي رماها جارنا بالامس من اجل الكلاب بهتت الام ولم تقو على الكلام .

عيون الاولاد استقرت على الكتل العظمية الصلدة .. وانبجست الدموع من اماق عيونهم رغما عنهم .. ولم يلبثوا حتى حبسوا انفسهم متراصين خلف دثار مهتريء طلبا للدفء . اشاحت الام بوجهها بعيدا عن نظرات ابنائها .. واقتربت اكثر من نار الموقد التصقت بالاولاد .

مضى الرجل الغريب متسكعا في شوارع المدينة الكبيرة .. والتي بدا وكأنه يعرفها حق المعرفة .. طاف بشوارعها حيا حيا .. استعرض شكلها .. لونها .. ابنيتها .. وجوه اهلها .. وكاد بحثه ينتهي الى خيبة امل مرة .. لولا انه ادركها اخيرا .. توقف عندها مشدوها . تسمرت عيناه في مواجهتها وهتف بلا وعي : يعرب .. وانتبهت الفتاة .. بادلته نظرة حرى .. ثم غدت كحمامة وديعة تسقط على خيمة وارفة . اندفعت بلا وعي وافرغت على صدره نظرات الدهشة والانزعاج . امطرها بوابل من القبل . اعتصرها بين ذراعيه .. وهمس لها بلواعج الشوق . ندت عنها اهة ولهى .. كانت بضع قطرات من المطر تبارك لقاءهما .

اشرقت الشمس من جديد . كان القطيع قد تدنى الى النصف تقريبا .. وانطوى المتبقي منه كسولا مقشعرا يهتز في ذهول .. لا يدري عما حدث بالضبط . خرج الراعي من المغارة متورد الخدين .. وقد فرد يديه سعيدا تجشأ وتثاءب وفرك يديه بجذل . انتشرت من حوله كلابه تهز اذيالها سعيدة .

انتهى السباق الدموي بوقوع المتسابقين بعضهم فوق بعض .. حيث كان سقوط المتسابق الاول نذير شؤم للمجموعة بكاملها . ما لبثوا حتى تهاووا متعثرين الواحد فوق الاخر .. وذلك بين استنكار النظارة ... وامتعاضهم الشديد .

ابتسمت المرأة بصفاء وهي تحتضن اطفالها بحنان وتدنيهم الى جسدها الضعيف . كان الصغار قد ادركوا الان انهم قذفوا بالعظام عن طيبة خاطر .. ناموا وفي امل جديد .. اضحوا مقتنعين ان لديهم القدرة على تناسي اللحم لفترة اخرى قد تطول .

انتبه الرجل والفتاة على صوت اجش ينهرهما بحدة .. انكما تنتهكان القانون .

ولم يتحرك الرجل .. ظل مصرا على الالتصاق بحبيبته . امسك الناهر الرجل من كتفه .. وهزه بعنف وصار الصوت الواحد الى صوتين ثم الى ثلاثة وخمسة وعشرة .. واختل توازن الرجل .. صاح باقصى صوته يعرب .. يعرب .. واختفت عن ناظريه . اعمل قدميه ويديه .. وزأر ، حطم أسنانه .. كان المطر ينزل بغزارة ـ كانت قدماه تغوصان حتى الركبة وكان صوته يضيع في عرصات المدينة .. لكنه لم ينفك يرتفع ويرتفع .. والماء يخر من حوله .. يروي حكايته الطويلة .

القضية رقم ١٠٩ جنايات

أحمد محفوظ عمر

اليمن الديمقراطية

الافادة رقم « ١ »

الاسم الثلاثي : عبدالله محمد القعود .

المهنـــة : خبـاز .

قبل صلاة المغرب بقليل .. مررت بجانب المسجد .. مجرد مرور عادي ، وكان يمكن ان أواصل السير واتجنب المشاكل .. ولكن توقفت .. بفضول مباغت ، عندما رأيت « امام » المسجد واقفا بالقرب من الباب ، وحوله جماعة من الناس يتحدثون باهتمام ... دفعني حب الاطلاع على الاقتراب منهم .. لم يهتم بحضوري احد .. كانوا منشغلين بالكلام .. سمعت بعضا من النقاش الدائر حول نعش رجل ميت داخل المسجد .

كان « الامام » يبدي تخوفه للمتحلقين من ان الناس لن يصلوا خلف النعش .. لان الميت لم يدخل المسجد مطلقا طوال ايام حياته بالرغم من ان المسجد يقع بالقرب من بيته ، وقال « الامام » ان جيرانه اكدوا له انصرافه عن الصلاة .. وان شخصا مثل هذا يقطع الصلة بينه وبين ربه .. لا تجوز الصلاة عليه .

كان « الامام » يتحدث .. والاخرون يستمعون بأدب بالغ .. وبين فترة واخرى ، يهمس احدهم بكلمة خجلى ، مغلفة بالاستعطاف « للامام » لكي يوافق ، ويقيم الصلاة على روح الميت .

في الحقيقة .. لقد شعرت ساعتها بعطف كبير على الميت .. ربما لان المصير الذي ينتظرني مطابق لمصيره .. فأنا قاطع صلاة مثله .. فوجئت بيد احد الحاضرين ممن كانوا يصغون بأدب وتسليم الى « الامام » تطوق كتفي .. وصاحبها يسحبني خارج الحلقة .. ويعلمني بنفس طريقة الاصغاء المؤدبة دون ان يعرفني من قبل قائلا ان « الامام » دجال .. وانه لا يهتم سواء أصلى الميت ام لم يصل .. لانه يعلم ان الله هو الذي يملك وحده حق مقاضاة العباد ، على التقصير في امور الدنيا والدين .. ولكنه يعرف ان الرجل فقير ، ولن يحصل على الاتعاب من ذويه .

عدنا الى الحلقة ثانية .. فسمعت « الامام » يروى لهم مساوىء الميت بلغة الخطابة .. زاعما بأنه كان شريرا لا يتورع عن تكسير رؤوس الاكابر على أتفه الاسباب ، وانه عربيد .. لا يشعر بالغضاضة من التبول في الطريق العام او جوانب الاسواق العامة دون ان يتطهر .. وان كلمات السباب استطابت فمه مقاما دائما ، قلما

تفارقه الا في المنام .. بل ان احلامه لا تخلو من فواحش الكلم .. وانه كان ضيفا ثقيلا على مخافر الشرطة .

بالطبع .. انا اهتم بما قاله « الامام » لان مصيرنا واحد .. اقصد أنا والميت .. بعد ان قامت الصلاة ، انتظرت لانتهائها في الخارج . وسرت بعد ذلك خلف النعش مع جمع غفير من المشيعين .. وساهمت في حمل احد جوانب النعش لمسافة طويلة وفي فترات متقطعة . ولكن الشيء الذي لفت نظري كثيرا .. هو انني لم ار فما يبكي ولا عينا تدمع على الفقيد المحمول طول المسافة بين المسجد والمقبرة .

وفي المقبرة ، وضع النعش بالقرب من القبر تهيأوا لدفنه ، بينما التف المشيعون حوله في حلقة متزاحمة .. وعندما انطلق صوت القبار يرتل الكلمات المناسبة ويذكرنا بأن الموت حق .. واننا لاحقون بدون أدنى شك ، ويلقن الميت عبارات الرد على اسئلة الملكين المحاسبين وبعد ان نزع الرداء الذي يغطي النعش ، رأينا سيارة نقل تقترب منا وتتوقف .. ثلة من رجال الشرطة يقفزون منها ... ويحيطون بنا ... تقدم ثلاثة منهم ، وحملوا النعش الى السيارة .. وتخطى واحد منهم الاخدود وامسك بي بقوة .. وقادني الى حيث النعش ، واجلسني بجانبه مع عدد آخر من المشيعين .

لا .. لا .. بكل تأكيد .. لم يتحرك الميت من نعشه ، ولم يمزق الخرقة البيضاء حول وجهه .. ولم يهتف بشتيمة .. او كلمة احتجاج ضد احد .. بل كان في حاله مسجى في وداعة الله .

الافادة رقم «٢»

الاسم الثلاثي : سعيد علي باشميخ .

المهنـــة : تاجر صغير .

بعد صلاة المغرب .. ادينا صلاة الميت الحاضر .. وطلبنا من الله العافية والرزق الوفير ، والستر في الحياة ، وحسن الممات . بالطبع أنا اصلي الفروض الخمسة كل يوم .. وادعو للناس بالهداية وحسن الختام .. عفوا .. انا اعرف ان التفاصيل الهامشية لا تهم .. ولكنني أردت ان اكون دقيقا في افادتي ليس الا .

نعم .. نعم .. المهم .. خرجت خلف النعش مع المشيعين ، أبغي ثواب ربك الكريم .. ولو كنت أعلم ان وراء هذا الثواب تكمن مشكلة ما .. لتنازلت عنه غير آسف .. ولكن من يعلم الغيب سوى القدير المتعالي .. المهم .. انني صمدت طويلا في حمل جانب من النعش ، دون ان يتطوع احد بتبديلي . يظهر ان الناس زهدوا في طلب الاجر من الله تعالى .. وبعد لاي .. هتفت برجل صالح لكي يساعدني .. فقبل ذلك محرجا .. ولم اقترب بعدها من النعش مطلقا .. بل بقيت على البعد اردد علنا وحدانية الله ، واترحم على من يرقد بالنعش ومن يدب تحته . وصلنا الى المقبرة .. فأستقبلنا رجلها بسرور وترحيب .. وكان الظلام قد افترش على القبور وغيب الرؤية .. وضع النعش على الارض ، ونزع غطاؤه .. وتهيأ جماعة من الحاضرين لحمله الى مرقده الاخير .

وعندما طفق القبار يحدثنا بأن الموت حق .. وانه مدركنا ولو كنا في بروج مشيدة .. فوجئنا بسيارة نقل كبيرة تقترب .. ثم تتوقف ، ويترجل منها جماعة من رجال الشرطة المسلحين .. حمل بعضهم النعش الى السيارة .. وبعضهم اقتاد بعضنا الى هنا بجانب النعش .

طبعا .. أنا لا اعرف الميت في حياته .. ولم اسمع به .. بل سرت خلفه للمغفرة والثواب .

لا .. لا .. بكل تأكيد .. لم يمزق غطاء الوجه .. ولم ينتفض منددا او متوعدا بأي مخلوق .. بل كان يرقد في نعشه في رعاية الله ورحمته .

الافادة رقم « ٣ »

الاسم الثلاثي : احمد حميد سلام .

المهنة : جزار .

اعترف في البداية بأنني جار الميت . . فمنزلانا متقاربان . . ولهذا الحت زوجتي في ان أشارك في تشييع الجثمان الى مثواه الاخير .. لان من الواجب فعل ذلك .. لا سيما وقد اوصى النبي بسابع جار ، واشهد بضمير مستريح بأن المتوفي كان شقيا ومشاغبا .. يتدخل في أمور لا تخصه ، ويهد أعلى جدار فوق رؤوس الناصحين .. وقد بذلت جهودا يعجز عن مثلها البشر في عدم الاشتراك معه . أعرف ياسيدي ان ذلك لا يهمك .. وانني يجب ان ادخل في الموضوع مباشرة .. وسأفعل .

خرجت بعد أذان المغرب من البيت .. وانتظرت خروج النعش من المسجد .. لانني للاسف لا أصلي .. فالله ـ كما تعرف ـ لم يهدني بعد .. وعندما خرج النعش .. سرت خلفه بأحترام .. فالموت له حرمته ـ بلاشك ـ لبني البشر .. أما بالنسبة للحيوانات فلا أقيم لذلك وزنا .. أجز رأس اكبر كبش امام اخوته الذين يرتعدون فرقا من هول ما اصنع .. يتبولون .. وتسيل بطونهم في لحظات ، ولكنني أجندل رأسا بعد اخر دون ان تأخذني في ذلك رافة فالمسألة لقمة عيش .

المهم ... انني مشيت بجانب احد المشيعين ، وكان يبتسم حين أرفع سبابتي المقطوعة نصفا في يدي اليسرى أثناء التشهد .. لانه يعتقد ـ للاسف ـ انني افعل ذلك عمدا للاضحاك .. ولكن الواقع .. انا درجت على فعل ذلك لخفتها وللاعتياد الدائم في تحريكها .. خوفا من يبس العروق وموتها . بالطبع .. أنا لم افقد نصف الاصبع في عراك .. انا مسالم .. وانما فقدته اثناء العمل .. وليس هذا الرجل وحده الذي يضحك من حركة اصبعي المقطوعة .. بل ان آخرين يفعلون ذلك . انا لم اضحك مثلا عندما أمسك زميلي الجزار في المذبح بكبش قوي وطرحه أرضا .. واجرى سكينة في رقبته .. ولكن ما كادت السكين تغوص في الرقبة .. حتى انتفض الكبش من تحت الزميل مدفوعا بحرارة الروح .. وجرى خلفه ، طلبا للانتقام مسافة قصيرة قبل ان يسقط على الارض مرة اخرى يتخبط في دمه .

المهم .. لا اعلم بالضبط ما الذي دفعني لحمل احد جوانب النعش الاربعة .. كان ثقيلا .. وادركت بعد فترة من العذاب .. انني اوقعت نفسي في الشرك بأرادتي .. فلم يسارع احد من المشيعين لاخذ مكاني .. وكلما همست لاحدهم ليفعل ذلك .. تشاغل عني بترديد التشهيد والوحدانية .. حتى ذلك الرجل الذي كان يضحك لم ينتشلني من وهدة العذاب .. بل كان يتلذذ بمنظري المحزن .. ويعتبره امتدادا لحبل التسالي .

بأختصار .. وصلنا الى المقبرة .. وكنت مدكوك القوى .. خائر العزم .. فتهالكت على ركبتي لاهثا بعد ان طرحنا النعش ارضا .. وما ان بدأ القبار يجلب الهم لقلوبنا .. ويذكرنا بالموت واهواله .. حتى توقفت سيارة نقل كبيرة ، وقفز منها رجال مسلحون .. واحاطوا بنا من الجهات الاربع .. نقلوا النعش الى السيارة .. وجاء احدهم وانهضني من الارض .. وساقني بعنف الى السيارة .. ودفعني الى حيث يرقد النعش ... اعتقد انه فعل ذلك معي ظنا منه بأني أجثو على ركبتي احتراما للميت .

لا .. لا .. بالتأكيد كله .. لم يمزق الميت الاكفان .. ولم يردد كلمات الفحش والتحريض .. بل كان مسلوب الروح .. ينتظر عملية الدفن في أمان الله وحفظه .

الافادة رقم ((٤))

الاسم الثلاثي : حسين علي والد .

المهنـــة : طبيب .

في الساعـة السابعة والنصف من مســاء ١٩٦٤/٣/٢٥ م . استدعيت توا الى المستشفى المركزي .. لاجراء التشريح الدقيق لجثة رجل في العقد الخامس من العمر .. وقد فعلت ذلك بحرص واهتمام بالغين .. وتبين لي .. ان الرجل قـد فارق الحياة قبل تسع ساعات ، نتيجة لانسداد في الشرايين ، وتوقف القلب عن العمل .. ولا يوجد دليل علمي واحد يؤكد على ان الحياة قد عادت للميت مرة اخرى بعد حادثة الوفاة الاولى .

نوصي بدفن الجثة .. ونرفق مع التقرير شهادة الوفاة .

علم واســتئذان

القمندان ف . ن . بيري .

سيدي .. نظرا للافادات الاربع المسجلة في هذه الاضبارة .. يتضح لنا بأن الاخبارية التي جاءتكم بعد خروج النعش من المسجد الى المقبرة والتي تزعم ان الميت قد انتفض .. وهتف للثورة وندد بالاستعمار ليس لها اساس من الصحة .. وقـد نفذنا تعليماتكم الصارمة بكل دقة .. حرصا منا على الامن والنظام الكاملين .

وعليه .. نرجو السماح لنا باطلاق سراح المعتقلين في القضية بكفالة مالية .. ودفن الجثة بعد منتصف هذه الليلة بحراسة بعض رجالنا المسلحين .

الجندي العائد
في ليلة اعصار

يوسف خياط

سوريا

بعد اشهر من ملازمة الخطوط الامامية ، كان الرقيب سليمان وهو رجل عتيق يحمل السلاح ، يجتاز الشارع الرئيسي في بانياس ، في وقت محمل بالظلام والنجوم تزحزح في الجواء وراء استره ، كانت قد راحت منذالعصر ، تنشحن وتتجمع ، حتى آن بها ليل طاعن ، ونفخت فيها عاصفة ، من بواكير انفاسها ، ما مزقها ولم يبعثرها .

ودنا منتصف الليل ، اهوج النزوات ، والنور فوق هامات البيوت والاشجار ، متأرجح منشور ، كمنديل رصاصي شفاف ، يحكي عن مخلوق يحتضر بهدوء ، والمصابيح مشنوقة الاشعة ، على الاعمدة ، شموع تذوب بلا مجد ، فيبدو كل شيء تحتها ، بلا ابتسام .

وكان المحارب القديم ، ليصل الى قريته ، ملزماً بدرب طويلة صاعدة بدأها من شارع أكلت الاوحال ، كما الآفة ، بعض جنباته ، ونزعت عنه اوصاف المدن المشمولة بالرعاية المثلى .

عبثا راح يتعرف على موطىء قدميه ، والمسافة واسعة ، تدعوه الى ان ينشط ، فيسعى بلا هوادة ، لا يعجزه خبط اعشى او مياه امطار ، تنسكب فوق معطفه بلؤم .

انت اسلاك الهاتف فوق رأسه ، واعولت . والعاصفة تسوق الان ، اوراقا ودخانا وطشيشا ، وتطلق أزيزا مدمدماً عميقا .

فكر تناوبت على طرق باله ، تزيد في عنقها ، سيوف حادة عراض النصول ، تمزق الان وجه السماء بلهب ، فيبدو له على اثرها غطاء غيمي واطىء يهدد بالسقوط .

* * *

علا صوته في الخندق المثقوب في ارض الحدود :

ـ ماذا يا حمدان ؟ .

طنت فراشه مصنوعة في الغرب ، واستقرت في الحواجز الخلفية ، وتلتها فراشات لاعد لها ، ثم أتاه صوت حمدان من جديد :

ـ لافتة كبيرة . . . اكتب عليها . . . برسم الحب .

ـ ماذا ؟

ـ شاب برسم الحب ، واطوف بها في القرية .

الفراشات ، مسها خصب التناسل ، فتكاثرت وضاع الصوت في فوضى الازيز . وتوالى بعدها الكلام :

– . . . وآتي الى بنات العم والخال – والخالات . أسألهن :

من لها بعائد من القتال . شاب مفتول الساعدين . مزهـــو بشاربيه معذب بشبابه ؟ .

القى الرقيب سليمان بنفسه في الحفرة ، وقد تحول ضحكه الى غضب :

هل جننت . . . وحسبت انك في ساحة القرية ؟ ! .

كان الجندي الشا ب، يتمايل راقصا ، وقد نشر ذراعيه فوق رأسه ، كمن يلوح بمنديل واسع والفراشات من حوله تئز ، وتستقر في الحواجز صاح :

– لا . لا . هذه اللعينة الحفرة ، لن تكون زوجتي الوحيدة .

الصوت الرنان تلون بالحلم ، بالفرح ، بالحياة وتســـــربل بالحماس :

– سأعمل مثل غيري . سأغازل . سأحب سأعشق . . . ولو بالحرام .

صاح الرقيب ، مستنكرا :

– لن تقنعني .

قال حمدان :

– مرة . . . احببت ، ودنوت كثيرا . . .

– ثم . . .

– ثم ماذا ؟ مثل الايتام على مائدة اللئام . وقفت الى جانب ، أتفرج بعيني الحجل المذعور . . . احدهم أتى فاخذها . . . هكذا . .

اجل ... تمد يدك الى ثمرة تين ... و ...

ازت الفراشات .. تابع :

ـ يتقصف الغصن ، لان اسبقهم اخذها .. أيعجبك هذا ؟ .

الجندي المتمرس بتقلبات الزمان والناس ، المتأقلم بقساوة البعاد ، كان يسمع وقد انساق الى رحلة عبر الشوق والحب والرغبة . أحس بشيء يعذب قلبه ، ويهاجم جدار احتماله وصبره احس ايضا بالغربة ، والتشرد النفسي . ليعترف

حبي لابنائي وشوقي اليهم ؟ صحيح . عدل هذا . وذلك الابدي الحب الشوق الراغب ، الملتصق بالدم بالعصب ؟ النزوع الملح الى المرأة التي هي زوج .. وانثى ... قبل أن تكون ، اما ؟ .

يلتهب فكره .

حتى من وراء المتاريس ... يلتهب دمه .

يلتمس الدفء والذراع الوسادة ، وانفاس المرأة .

عادت الفراشات الغربية الصنع ، تحفر اعشاشها في التراب ، وعاد حمدان يصيح :

ـ هل انت بخير ؟ اخافني صمتك . هل كنت تفكر ؟ .

ـ كنت في القرية ... عند أم ايمن .

قال الفتى الجندي ، مشرق الكلام :

ـ وانا ، هذه المرة . سأرجع موعودا .

ـ هذه المرة ؟ !

ـ بعد الاجازة المقبلة . الم احدثك عن اللافتة ؟

وحجم .. تهدهد القلق ، تسكت الضجيج تطفىء لظى الظمأ .. وتصرف الازمات .

الشرفة خرساء ، وغطاء بلا حراك ، لا تمل الانتظار . والجندي تحتها في بانياس ، مع الاثنين المتحاورين . والحوار عن شيء . الشيء امرأة .. او بيت ، او فراش .

ـ بل مئة ادفع مئة ليرة .

استنكر الرقيب :

ـ لكن هذا كثير .

نظر اليه وضحكا ، قال :

مئة ليرة .. حتى طرطوس .. فقط ؟ ! .

ـ اجل مئة ليرة سورية .. وخير من هذا الانتظار والازعاج ..

بدت له ، ليرتاه شاحبتين ، بلا رقم ، متخاذلتين لا تسعيان بمعروف . مع ذلك انصاع الى الاقرار بسوء تقديره للامور .

« صحيح .. الانتظار صعب . مزعج . انا دفعت ليرتين ونصف الليرة ، فلم يغره هذا » .

* * *

بعد غد .. يعود .

في كيس نقوده ، دراهم الاياب ، معدودة معدودة ، بقانون ، ويترك ام ايمن للفراش ، تدفئه بجسدها وحده . وتبدأ رسائله ، الى ام ايمن . كلام على الورق . مثل سلف الملح .

لاح ضوء يخترق الطشيش متعباً ، والمطر وغوغاء العاصفة .

يشدانه الى الوراء .. وانجر معه هدير محرك ، مخنوق الوقع .

توقفت السيارة واندفع اليها المتحاوران :

ـ الى طرطوس .

ـ اصعدا ..

خرج الرقيب من تحت مظلته ، تقدم ومال بجذعه على السيارة ، وكأنه سيذهب معهما .

وقال السائق :

ـ اريد اجرة الذهاب والاياب .

ـ بل خذ ما تشاء .

ـ لا .لا . فقط عشرون ليرة .

تلمس سليمان ، بالحس والتخمين ، كيس نقوده وبقربه كيس العائد من الجبهة ، كأي كيس لجندي عتيق ، كان ملوثا بالوحل والمطر . فيه اودع حاجاته الخاصة ، قمصان وجوارب وثياب داخلية . وفيه سكاكر رخيصة ، فيه ايضا ، عواطفه التي جمعها في هدية الى أم أيمن .. اعتبارا بانها تمثل الجميع في البيت .

امامه ، عاصفة تزار . وتتمسرح فيها اضواء واشباح . وتطير ابخرة ورذاذ كثيف . واشجار الكينا حراس على الجسر بغير سلاح . والنهر يجعر . والبرد لئيم . وهو المقاتل القديم . تحت الشرفة متمترسا ، يتقى الماء والهواء وينتظر :

« حقا انها ليلة غير ذات بهجة » .

مر صاحب الموتور ، تحت المطر ، وصاح الجندي .. وضاع

صوته . كيس نقوده في يد أم أيمن :

ـ لم يبق سوى نقود العودة ، حفظتها لك رغم الحاح أيمن من اجل ليرة واحدة .

السيارة تحمله في درب عودته ..

الزمن البطيء لم يكن ليوم واحد بطيئا . طـار . تبخـر . والساعات صارت الى دقائق .

* * *

يندس في خندق الى جانب حمدان الذي يردد على سامعيه ، حديث اللافتة المرفوع عليها ، شعار الحب والزواج :

ـ عدت موعودا ، مبرور اليد ... الشتاء يؤذن بذهاب . واجازة الربيع اتية . واحضر عروسي الى دمشق .

ـ انتبه يا حمدان . كن حذرا يا حمدان ، عروسك تنتظر عودتك .

وفراشات صنع اميركا ، تئن .

ويطلق جنود الارض فراشاتهم .

والربيع اقترب لا يشابه الصقيع الربيع . وتلونت ارض الحدود بالخضرة ، وسجدت اكتافها ازهار النرجس والاقحوان والشقائق ، وطاب السهر ، بلا سمر ، وترصد العدو تحت ضوء القمر . وحمدان يعطيه .. اذا ما خلت من الماء قربته ، من ماء يحمله .

* * *

عاد سائق الموتور .

وانتصب الجندي الكهل في ساحة بانياس تحت المطر يلوح بذراعيه :

ـ خذني الى القرية ، ولك الاربع الليرات .

واتاه الرد .

ـ ولا العشر .. فراشي ينتظرني .

حمل كيسه الرطب ، ورفعه الى كتفه وصعد في الدرب المظلم:

« ـ اعترف ، قد طال عليك غيابي ، يا أم أيمن » .

الامطار شرسة . الاعصار نافخ .. والسماء غيوم تتوالد . والنور المشنوق على الاعواد ، غير غلاب .

اشجار اليوكالبتوس ، مردة تهز الاقفاص ، والنهر الى جانبها فعل لا ارادي .

* * *

تقضت اجازة المتمرس بقساوة الحياة والقتال سيارة لاندروفر تحمله وتنوء بثقل عشرين راكبا .

قال السائق :

ـ قف قليلا على المفترق الثالث . حمدان سيسافر معي .

ـ أي قف . وأي حمدان ، والركاب جبن مكبوس .

ـ ارجوك . سيذهب معي الى الحدود .

ـ حسنا ، حسنا ، سأدخله في علبة السردين .

اخذ جسده يفقد غطاء الدفء . واخذ بريق ام أيمن يشجب في ذاكرته .

الخندق والفراشات المتطايرة ، بالانتظار . الشوق الى الازيز ، نزاع .

الحواجز الوراثية والامامية تتلقى ما أرسلته اليها امريكا . حمدان يهتف به .

عدت موعودا .. أه .. لو رأيت كيف تهافتن علي . كل منهن، اجمل واحلى . طويت اللافتة . من تراني أختار ؟ انتابتني الحيرة . رحت أقيسهن أزنهن . اقدر احجامهن . استمع الى اصواتهن ، واتذوق رنين اسمائهن . رحت انتقي من بستان الشفاه والعيون ، واقارن ما بين الخصور واطوف بين الاعواد المياسة والقـــدود الرشيقة .. اجل .. كانت هي .. تركتها لعام مضى ، وليس ثمة في سهل صدرها قاطن .. صغيرة ، فكيف كبرت فجأة ؟ ! .

لم تكن اجملهن ، لكنها كانت شيئا اخر .. يا لعينيها .. أتعرف ماذا قالتا ؟ حسنا . قالتا :

ان تحب ، لا ان تحرق ..

ـ احترس يا حمدان .. هذه الفراشات الملعونات ســـم الخنادق يا بني . احترس ، الربيع آت . . . وهي بالانتظار . .

ـ لا تخف علي . أنا أقوى من كل هذه الفراشات الرشيقة ، ومن صناعها . الحلوة الصبية أحبتني ، سأحضرها .. وددت ان تراها لكن ستراها ، فالربيع قد دنا .. الربيع أتى ..

* * *

السيارة الرمادية القاتمة ، في رحلة عودة الجندي .
والصباح ابن شمس أميرة .

الاجزاء زرق . واسراب الحمام الابيض تتقاسم السماء . وطيور الزرزور ، جبارة الاجنحة في طيران افقي ، فوق حقول نبتت فيها براعم القمح والشوفان ..

على المفترق ، ثمة شاحنة ضخمة متقلبة خارج الطريق ، وقد دكت جدار الحقل ، فانفرز منها جانب في التراب البليل :

صاح صوت :

ـ خير ان شاء الله .

ـ أي خير يا هذا ؟ تفادت صدم سيارة ، ففقدت السيطرة الذاتية ، فانقلبت ولكن بعد ان قتلت جنديا شابا كان سيصعد الى قريته .

وصاح السائق بضجر :

ـ اين رفيقك ايها الرقيب ليصعد .. وصوت يحاور اخر قال :

ـ لو لم تكن الليلة ، معصرة ، من يدري ..

الرقيب يفكر : « الفراشات تستقر في الحواجز ، الليل عسعس بجفاء والخنادق رطبة المناخ . والاجساد فقط تشع بالحرارة .. »

هتف :

« ـ احترسوا يا ابنائي . يا أمين . يا محمود يا كامل .. أحترسوا ... المعركة بحاجة اليكم . الافضل قتل العدو . فالشجاعة الا يسيطر عليكم الذعر . الا تتخلفوا . الا تفقدوا اعصابكم . الا تتوانوا عن اطلاق النار . الشجاعة حذر ايضا ، نضب مائي . هل لاحدكم ان يعطيني من مائه ؟ »

صاح السائق :

ـ اين رفيقك ايها الرقيب .. اليس هذا هو المفترق الثالث. فأين هو أذن ؟ .

* * *

كيف حال الدنيا

عبدوس عبدالحميد

الجزائر

صمت ثقيل جاثم على المنخفضات والطريق المترب الملتـــوي وسط بقايا حقول القمح المحروقة . جسمه يتفجر عرقا . سأجف حتما قبل وصولي » . اعتصر مقبض بندقيته مسح عرقا ضايق رؤيته . وعاد يتطلع الى نهاية الطريق .

ما ابشع ان يتغير كل شيء هكذا » .

قبل ايام قليلة كانت القرية تضم اناسا سهروا يبتهلون الى الله ان يبعد الشر عن قريتهم الطيبة التي تنبت لهم البقول .

لم يبعد الله الشر عن قريتهم . اختفت رائحة البقول خفقتها رائحة المحروقات .

رفع بصره الى السماء غاضبا . كانت سحابات بيضاء ترعى الهدوء .

ـ ماء .

انتفض بشدة . الحية تخرج في القيلولة . هكذا قالت جدته وهو صغير . كان يبكي عندما كانت تقسم له بأنها رأت جنيه تمشط شعرها قرب الساقية . لكنه كبر ، ولا يدري كيف ، لم تعد تخيفه الجنيات حتى المسلحة ذات البذل الخضراء ، لم تعد تخيفه .

بالامس كانت وجوههم المذعورة تملأ بغثيان هائل . كان يطلق ويقهقه بجنون .

احقا ان هؤلاء هم الذين يرعبون الاطفال ويركلون الابواب بأحذيتهم الضخمة ويصفعون الشيوخ . تختلط قهقهاتهم بعويل النساء .

لماذا ينادون امهاتهم الان كأغبياء الاطفال .

استمر يطلق بعد نهاية المعركة . وبَخّهُ القائد على تبذيره للرصاص . هو لم يستطع رفع اصبعه الذي مات على الزناد .

ـ ماء .

وجهها كان يفيض بالرقة . ماتت وهي تطلب الماء . طلبته مرة واحدة . لم يسقها احد .

كانت أمه .

ـ ماء .

الذبذبة التي تجري في أعصابه جعلته يدرك انه يسحق حتما اذا لم يتحرك . مخالفته للأوامر شنيعة جدا تحركت خطواته بأتجاه خميلة من نبات «الديس» توقفت الحياة فجأة بداخله . لا يدري كم مر من الوقت قبل ان تتدفق الدماء في عروقه كسيل لهدم سد .

تراجع قليلا الى الوراء ، قطب حاجبيه .

غير معقول ! ! بزلة خضراء !

لمعت عيناه ببريق متوحش . اخيرا سيتمكن من أن يدوس وجها من هذه الوجوه اللعينة .

احس شيئاً ما بداخله يمنعه من ان يضغط بكعب حذائه على الوجه المصفر حتى ينفجر .

العينان المحمومتان يغمرهما التوسل .

– بحق السماء .. أريد .. شربة ماء .

كان الانين جافا متقطعا لكنه واضح بشكل غريب . انحنى على الوجه المصفر . كانت شفتاه في لون التراب .

– لا تعود للصراخ ، استمع ؟ اذا اردت الماء اشرب دمك . لماذا تتركه للأرض . هي ايضا ماتت وهي تطلب الماء . لكنها طلبته مرة واحدة .

– متأسف .

– ماذا تقول ؟

– متأسف .

– تأسف ما شئت . أليست هذه لعبتكم تقتلون اولا ثم

تتأسفون في الاخير .

ـ انت تجهد نفسك وتجهدني معك اتركني أموت .

ـ من حقك ان تتأسف لكن ليس من حقك أن تأمرني لم يرد . انغلقت العينان المحمومتان . مسح

قطرات العرق المتراكمة على جبينه .

ـ تريد الماء . حسنا سأبحث لك عنه .

عاد بعد قليل بالماء في جرة مكسورة . افرغ قليلا منه على وجه المجروح ، فتح عينيه ، جلس بالقرب منه ، وضع يده تحت الرأس الاشقر وشربه ببطء .

ـ شكرا .

ـ لا تشكرني ، لماذا قلت متأسف ؟

ـ لانني حقا متأسف .

ـ هل لك أم ؟

ـ نعم وأب وأخوه .

ـ لماذا لم تبق معهم ؟

جئت لتأدية الخدمة العسكرية .

لماذا لم ترفض المجيء !

لا يحق لي ذلك . أبناء الاكابر هم الذين يسمحون لانفسهم بالرفض او القبول .

هل لك عشيقة ؟

اتسعت العينان المحمومتان ، لا يدري أهي رهبة الذكرى أ

انها المفاجأة من ان يسأله انسان متوحش مثل هذا السؤال حرك رأسه بيأس .

ـ ارجوك ان تكف عن تعذيبي بهذا الشكل .

ـ لقد تأسفت من اجل أمي التي مزقتها مدافعكم اللعينة . سأتأسف بدوري من أجل اهلك وعشيقتك .

ـ تقتلني ؟

ـ سأفعل .

ـ من حقك ان تفعل .

ـ اذن ..

ارتعشت يده قليلا وهو يصوب بندقيته . الجفاف النازل من حلقه يتسع بأسفل بطنه . اخذ يجتر بذاكرته ارقاما بلا معنى .

ـ لماذا لم تطلق ؟

ـ اغلق فمك .

ـ انت انسان طيب .

احس بشتيمة بذيئة تتصاعد الى طرف لسانه كتمها قبل ان تخرج . نزلت يده قليلا أحس برغبة شاذة في التحدث الى هذا الجسم كثعبان مسحوق .

ـ لماذا لم ينقلوك مع الجرحى ؟

أظن انهم لم يعثروا علي . لقد تدحرجت الى هنا مباشرة بعد ان كسرت ساقي وغبت عن الوعي تماما عندما بدأت الهيليكوبترات تنشل المصابين .

ـ اين سلاحك ؟

اذا لم يعثروا عليها فهي ليست بعيدة من هنا

ـ اسمع ، لا اظن بانك ستعيش طويلا ان بقيت على هـــذه الحال . رجائي ان يعثر عليك رفاقك قبل ان تسبقهم الذئاب .

الوقت ليس في صالحه ، واقل من ذلك ان يضيعه بطريقة تعرضه حياة رفقائه للخطر .

الرسالة انها قضية مصير بالنسبة لنا . تذكر هذا وليوفقك الله » .

هذه كلمات القائد تملأ رأسه الان . تضاعفت دقات قلبه . هل يعترف انه خائف .

ان الخوف شيء جديد عليه . حياة الرفاق ، نعم هذا بالضبط ، أما هذا التقلص بداخله يجب ان يتخلص منه كما تخلص من رهبة الجنون والذئاب .

عيناه تقع على انفجار الضياء فوق السنابل الحبلى في البعيد . لكن مخيلته لا تريد ان تلفظ صورة ابتســـامة مرتجفـة ، وعينين محمومتين .

الابتسامة تتقافز بعناد فوق بساط الارض حساسة منه . قادم مسار نظراته .

من ليس له القلب يا بني ، لا يساوي حفنة تراب» .

ـ اللعنة .

فجأة سمع دوي احتبست له انفاسه . تطلع الى السماء ، كانت طائرة استكشافية قادمة بسرعة في ناحيته . أراد ان يجري بأقصى سرعته تأكد من نفس اللحظة من سخف فكرته . أراد ان يتمدد على الارض ، لكنه يعرف انها أشد معاندة من كلب مسعور .

تملكه حنق خانق من نفسه ومن هذه الالة اللعينة التي تشعره بعجزه .

يا للمصيبة ، لابد انني جننت . كيف تناسيتها بهذه السهولة . كان يجب ان أضعها في حسابي» .

اخذ يفكر بسرعة ،على مسافة من هنا حوالي كليو مترين بالتقريب توجد قرية صغيرة وجميلة . سكانها شبه آمنين . مروري عليها ، يعني قصفهم جميعا وتدمير قريتهم بحجة ايواء الغلاقة .

تصور البشاعة .. يجب ان ارجع ادراجي .. بقي ان اخذ الطريق الاخر وان كان اكثر وعورة وطولا . لكنه اكثر سلامة ؛ المنحدر تغطيه الاشجار والاشواك ومن السهولة بمكان التسلل عبرها. ليأخذني الموت . حتى هذا لم أفكر فيه من قبل . كنت اريد ان أكسب الوقت الضائع» .

بخفة نمر اخذ يبتعد بخطى واسعة ناحية المنحدر كان ضجيج الطائرة ما زال يرن برأسه .

اتبعيني ما دمت لن تقتربي بعد قليل سأهديك مفاجأة صغيرة» .

«هناك أشياء كثيرة ليست على ما يرام» .

يجب ان تحصل على اسلحة تمكننا من اسقاط هذه السموم . لكنه هناك ، الخونة . . يجب القضاء عليهم . أتعجب كيف يصبح الانسان خائنا . ذلك المجروح بالتأكيد لم يكن خائنا . كان خائفا . انا هل يمكن ان اكون .. »

لم يكمل فكرته شعر بأشمئزاز يملأه ، تحول في التو الى نقمة على كل الخونة وخاصة في بلاده .

«في الاوراس يسقطون كثيرا من الطائرات» .

تمنى ان يتواجد في الاوراس . ما أجمل ان يقف الانسان على حطام طائره . . أوه . . منتهى الروعة .

فجأة اصطدم بكلب رهيب يقفز في وجهه . ارتمى الى الوراء استقر الكلب للحظات رهيبة فوقه . ثم أكمل دفعه الى الخلف بكل قوة ساقيه .

نهض مقطوع الانفاس . التقط بندقيته وهوى بقبضتها على راس الكلب . عوى الكلب عواءا يشبه أنين طفل مريض ثم همد بلا حراك .

قذف بجسمه في المنعطف تدحرج على الاشواك أوقفه جذع شجرة بلوط كبيرة . انبطح على بطنه واخذ يزحف بحذر صوب خميلة قريبة .

سمع دوياً بالقرب منه : أراد أن يستدير ، شعر بألم حارق في ظهره ، عض شفتيه بقوة جعلت اسنانه تنغرس في اللحم . أغمض عينيه . وواصل الزحف .

ساد هرج بالقرب منه . اختلطت الاصوات ثم تكاثرت اعقبتها قهقهات طويلة ثم عادت الاصوات تصل أذنيه بوضوح .

ـ الحقيقة انني اخاف خوفا ازرق من الثعابين بمجرد ان سمعت الخرخشة . أطلقت .

ـ غبي . ما أتى بك الى هنا ؟

كنت اتمرحض .

ـ ايها الخنزير تتمرحض وتملأ خلوتك لطلقات الرصاص . افرض ان الفلاقة قريبون ، ماذا كان يحدث ! .

استطاع الان ان يدرك ان الحديث الدائر بالقرب منه هـــو لجنديين من العدو ، او على الاصح لعدد منهم ، كما استطاع ان يميز ان احدهم صاحب الصوت الاخير الحاد النبرات » هو لضابط كبير . تملكته رغبة مجنونة في الضحك ، كتمها بمجرد ان سمع الحديث يقطع صمت الغابة ونباح الكلاب المسترسلة بين الفينة والاخرى .

ـ انت صامت اذن اعترفت بذنبك. لكن سنسوي كل هذه الامور بالمركز .

صوت يأتي من بعيد نسبيا .

ـ كابتن عثرنا على احد جنودنا مصاباً بجروح خطيرة ، لقد فقد كثيرا من دمه .

ـ ماذا تريدني ان أصنع له ، أعطيه دمي. لا تزعجني بأمور تاتفهة كهذه . يكفيني ان اعلم الحمقى امثالكم الا يصطادوا الخيال .

ابتعدت الخطى محثوثة باوامر الكابتن . ثم ساد السكون بعد لحظات ، سمع خلالها انفاسه المضغوطة تخرج باجهاد .

عاودته الرغبة في الضحك المجنون حنقتها رغبة البكاء الطائش . كلاهما انتحرا وسط حمى الافكار النافرة .

يا للمهزلة . ذهبت ضحية طلقة واحدة من ذلك القذر الذي كان يتمرحض . أده .. الادهى حسبني ثعبان » .

رأسه غارق في يم مضطرم . مكث مدة مسبل الجفنين .

لن تنفذ مهمتك . هكذا قدر .. لكن على الاقل القرية سلمت .. أتمنى ذلك على كل حال . انني لا اشعر مطلقا بالندم . فقط . قليلا من الضجر . لم انفذ المهمة التي كلفت بها و .. ولم أتمكن من اسقاط طائرة . ذلك ما وعدت به أمي ـ رحمة الله ـ قبل ان الحق بصفوف الثوار » .

ـ ظلام هذا المخبأ يضايقني ، أريد ان أرى شمس بلادي أريد أن تكون نهايتي في كفن الضياء ـ

« سأفكر في أشياء .. لا أعرف بالضبط اشياء مجردة أفكر فيها . أه نعم ، نحن سننتصر هذا شاق جدا حسب الاوضاع ، لكن القائد يقول دائما : سننتصر ، انه يتكلم جيدا ، القائد رجل صالح ، يقول الايمان بجانبنا ، هم يحاربون مرغمين او بعضهم محترفين . لكننا نحن ندافع عن حقوقنا ، عن وطننا . كنت حين استمع اليه يتكلم أشعر بالايمان يغمرني . هو الذي علمني الصلاة وعلمني أشياء كثيرة نسيت البعض منها .. كان يعوضني حب أسرتي التي فقدتها

كان يرعاني لاني كنت أصغر الرفاق .

أوه .. معذرة ايها القائد ، معذرة يا رفاق . أغمض عينيه .

ـ ـ ـ ـ

ـ متى تنتهي الحر ب. عندما نهزم المحتلين ، نعم بالضبط . لكن الحرب بشعة مع ذلك . أريد ان تنتهي بسرعة .

كم انا تعبان اريد ان انام دهرا ..

هذا غباء مني ، كان يمكن ان ازحف من البدء واراقب الطريق بدلا من التدحرج ككومة قش . يبدو ان السرعة توقعني في مأزق .. الطائرة لم أضعها في حسابي والكلب لم اضعه في حسابي لكن الرصاصة وضعت في جسدي ..

اغمض عينيه وراح يسترد الاحداث بذاكرته . «لايهم .. هكذا حدث . ليست هناك قوة يمكن لها ان تعدل الامر شيئا .

الضغط يجثم على صدره فيحاول ان يبخره في انفاس متقطعة مصحوبة ببقع من الدم .

« عجبا يبدو ان النزيف حدث بالداخل ايضا . مع ذلك » .. تلطخت اصابعه بسائل دافيء احمر وهو يتحسس ظهره .

« كل ذلك هين ، لو لا هذا الحريق اللعين ، انني أحسه يمتد الى امعائي ، الاحسن ان أجف بسرعة .

اخذت عيناه تصطبغان بلون التراب . تراخت اللحظة .

« انني عطشان .. اريد جرعة ماء فقط . لماذا ابتعدت عن الماء » .

« عليك اللعنة لماذا تعاندني قلت لك أن الذي حدث قد حدث . لا .. لا لم يكن ذلك المسكين هو السبب . نعم .. سمعت بأذني الضابط يقول لا يهمني المجروح .. الاحسن ان تفكر بأشياء اخرى .. بالتأكيد هي جميلة . ستجد أمك . أمي .. قديستي انا آت .

النباح يقترب . الاصداء تتردد كأنشودة الجان .

« لا يهمك الكلاب . على كل يجوز ان تصلي نائما . ليس هذا وقت الصلاة .. أريد الماء . الماء ، فقط هذا .

نشد بأظافره في أديم الارض الجاف . كانت دماؤه تختلط بذرات التراب . ملأ بصره بابتسامة مرتجفة .

« لم يكن بطلا كان يستحق ان يحيا » .

نهض غير عابيء بالآلام الصارخة في كل ذرة من جسمه . تناثرت على ملامحه ابتسامة وقحة . سار بخطوات متعثرة . الاجسام أمامه تبدو كأشباح تتلاشى . الاصوات تختلط .

أفرغ رصاص بندقيته بحركات محكمة دائرية . سمع صرخات الالم تمتزج بنباح الكلاب الجارية . سقط طوليا في الساقية .

تملصت البندقية من بين أصابعه ، انحدرت في ماء الساقية الذي بدأ يتلون بلون الاصيل .

الفهرست

3 — المقدمة . . . . . .

15 — الاشجار . . . فارس انور ـ العراق

23 — الامـيرة . . . فيصل عبدالحسن حاچم ـ العراق .

35 — ولسفينة نوح نزهة جديدة عدنان منشد السعدي ـ العراق .

47 — قطة وثلاثة بيوت . . محمد عطاالله ـ العراق

55 — الحصان . . . نجمان ياسين ـ العراق

67 — القبيح والوردة . . جار النبي الحلو ـ مصر

81 — عنبر الاموات . . احمد صبري أبو الفتوح ـ مصر .

91 — الاعرج يتزوج . . احمد بوزفور ـ المغرب

105 — ورقة من زمن التشنج . بلعيد ادريس ـ المغرب

111 — حين يكون الجنون ، يكون الدم . . . عبدالقادر عقيل ـ البحرين

117 — مصرع مواطن يدعى الصابر مفتاح . محمد المسلاتي ـ ليبيا

129 — التصاعدية . . . نصر محمدراغب ـ فلسطين

135 — المطر . . . عدنان علي خالد ـ الاردن

145 — القضية رقم١٠٩ جنايات أحمد محفوظ عمر ـ اليمن الديقراطية .

155 — الجندي العائد في ليلة اعصار . . . يوسف خياط ـ سوريا

171 — كيف حال الدنيا . . عبدوس عبدالحميد ـ الجزائر .

الاشراف الفني : رازميك الاكسندر

الخطوط : نزاريونس

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٢٧٤ لسنة ١٩٧٨

دار الحرية للطباعة بغداد ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م

المراجعة	فارس انور
	فيصل عبد الحسن
	محمد عطا الله
	عدنان منشد
	نجمان ياسين
مصر	جار النبي الحلو
	أحمد صبري أبو الفتوح
المغرب	أحمد ابو زفور
	بلعيد ادريس
اليمن الديمقراطية	أحمد محفوظ عمر
ليبيا	محمد المسلاتي
الاردن	عدنان علي خالد
سوريا	يوسف خياط
البحرين	عقيل عبد القادر
فلسطين	نصر محمد راغب

DATE DUE

MAY 20 2008

APR 03 2008

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0040554937

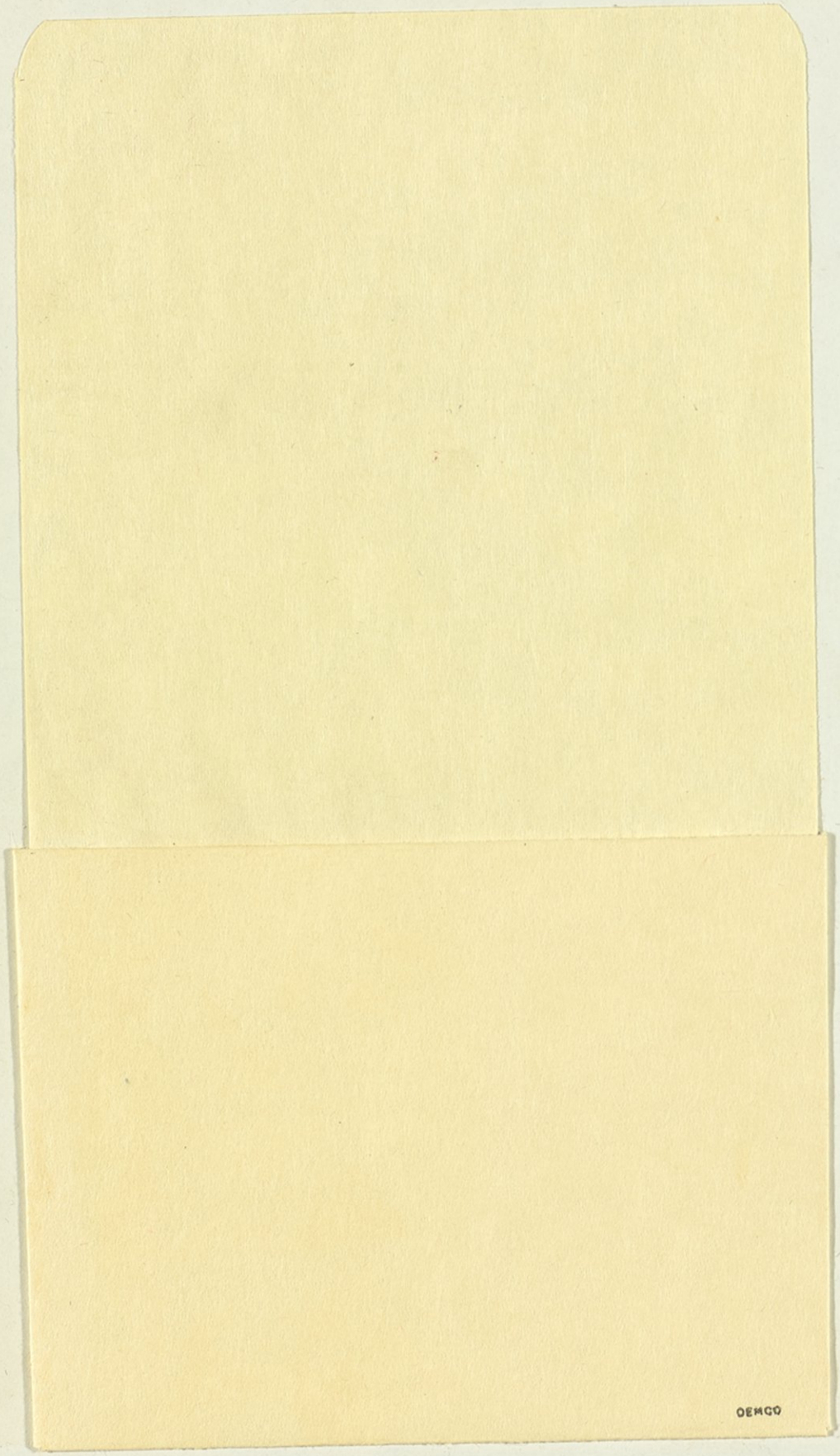

DEMCO

1 9 1981